المشرق

تاريخ جديد

لمدرسة بيروت الفقهية الرومانية

نظر تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في احد اعداد المشرق السابقة (عدد أيار ص ٣٧٣–٣٧٨) لمعةً من اخبار المدرسة الفقهية التي انشأها الرومان في بيروت في اواخر القرن الثالث للمسيح وكنّا نجهل وقتئذٍ انَّ احد كبار اساتذة الفقه المسيو پول كولينه كان على وشك الفراغ من تأليف كبير افردهُ لتاريخ هذه المدرسة الشهيرة. وها هوذا تلطّف وارسل لنا منهُ نسخةً هذا عنوانها :

HISTOIRE DE L'ECOLE DE DROIT DE BEYROUTH par, Paul Collinet, Professeur à la Faculté de Droit de Paris, Professeur honoraire à la Faculté de Droit de Lille(Etudes historiques sur le Droit deJustinien). *Paris*, t. II' *Société anonyme du Recueil Sirey*, *in*-12, 1925, *pp.* 327

فتقبَّلنا هذه الهبة بزيد الشكر. كيف لا وهي توقفنا على بعض مفاخر مدينتنا بيروت التي احرزت مدَّة نحو ثلثمائة سنة مجدًا مؤثلًا كادت تمحوهُ آفات الدهر فأحيا معالمهُ احد اساطين العلوم الفقهيَّة الفرنسويين بهذا الكتاب الفريد الذي كنّا نودّ لو يقوم احد ادبائنا ويُعنَى بتعريبهِ. وها نحن نُسلف قرَّاءنا بعض مضامينهِ رجاء ان يقفوا على مجموع فوائدهِ المتعة

صورة الكتاب وغايتهُ واقسامُهُ

كان الاستاذ كولينه بانشر بادئ بدء بدروس تاريخيَّة عن اعمال الامبراطور يوستنيان في تنظيم التعاليم الفقهية فنشر في ذلك سنة ١٩١٣ مجلَّداً ضخماً وبيَّن فيهِ انَّ مشروع يوستنيان كان متَّسماً بسمة شرقيَّة اثَّرت في دستور الشرائع الغربيَّة المدرسي. فأعجب الاختصاصيّون بتأليفهِ ونال جائزة المجمع العلمي (الاكاديميـة) الاثري الفني في باريس. وكان العلماء وخصوصاً ارباب الفقه ينتظرون المجلد الثاني من كتابهِ اذ جاءت الحرب الكونيَّة وحالت دون رغبتهِ لكنهُ زاد تعمقاً في درس الآثار الفقهيَّة المتوطة بدستور يوستنيان واصولهِ وينابيعهِ واذا بمدرسة بيروت واقفة بازائهِ حيثما وجَّه ابصاره فتحقَّق انهُ بدرسهِ تاريخها يجد حلًّا لعدَّة مشاكل كان يعتاص عليهِ ادراكها. فعزم على ان يخصَّها بدرس مستقلّ لما كان لها ولاساتذتها من النفوذ اذ فـاقت على مدرستي رومية والقسطنطينية. فجمع كثيراً من النصوص الناطقة بشرفها واعمالهـا العجيبة وعمدة اساتذتها وعارض نصوص معلميها بشرائع يوستنيان المتولة عنها. فأدَّت بهِ ابحاثهُ الجليلة الى تصنيف هـذا الكتاب الذي نحن بصددهِ وهو يبلغ ٣٣٢ صفحة. وقدَّم على كتابهِ قائمة التآليف المطبوعة والخطيَّة التي استند اليهـا في ايراد معلوماتهِ. ثمَّ قسم تأليفهُ الى ستَّة فصول تتناول مجمل ما يتوق القرَّاء الى معرفتـهِ في هذا الشأن وها نحن نستقريها فصلًا فصلًا لنجتني بعض ثمارها الشهيَّة

نظر عام في احوال المدرسة ببيروت الفقهية

هذا الفصل الاوَّل من الكتاب بحث فيهِ عن ثلثة مطالب:

﴿المطلب الاوَّل﴾ في اي سنة أنشئت مدرسة الفقه في بيروت؟ قـد تفرَّقت آراء العلماء في تاريخ انشاء هذه المدرسة فمنهم من رقَّاها الى زمن اوغسطوس قيصر في الجيل الاوَّل للمسيح. وارتأى غيرهم انَّها أنشئت في عهد الامبراطور ادريان وذهب البعض الى انَّها برزت للوجود في ملك سبتيموس ساويرس في اواخر القرن الثاني. إلَّا انَّ هذه الآراء لا تستند الى شهادة راهنة واضحة. وانَّما المرجَّح انَّ المدرسة البيروتيَّة ظهرت الى النور في القسم الاخير من القرن الثاني للمسيح. يُستدلُّ عليهِ من خطبـة

للقديس غريغوريوس اسقف قبادوقية المعروف بالعجائبي القائل سنة ٢٣٩ للمسيح فجاء في اثنائها لاوّل مرّة ذكر مدرسة بيروت فنعتها بالمدرسة العمومية للفقه الروماني ومعهده العلمي (Romani juris harum legum communis schola et auditorium) يؤخذ منهُ انَّ مدرسة بيروت كانت زاهرةً في تلك السنة لها سمعةٌ مستفيضة في العالم الروماني. وهذا ما لا يتمّ إلّا بعدّة سنين

﴿المطلب الثاني﴾ ماذا كان الداعي الى انشاء الرومان مدرسة فقهيّة في بيروت؟ انَّ الداعي لذلك (اوّلاً) مقام بيروت بالنسبة الى رومية فانَّ هذه المدينة كانت كباب الشرق ومفتاحهُ كما يدعوها كتبة ذلك العهد لتوسّطها في سواحل بحر الروم اليها تفضي تجارة البلاد الداخليّة من جزيرة العرب وجهات الارمن وما بين النهرين. ثم (ثانياً) تعلّق البيروتيين بالدولة الرومانيّة حتى انَّ القديس غريغوريوس دعاها بالمدينة العريقة بالجنسيّة الرومانية πόλις Ῥωμαικωτέρα فخصّها القياصرة بسابغ نعمهم فمنحها اوغسطوس حقوق المستعمرات العسكريّة وجعلها مركزاً لكتيبتين من الجيوش. واقام عليها والياً دهره اغريبا ودعاها باسم ابنته جوليا وتنافس الملوك من سلالة هيرودس اغريبا في تزيينها بالعمائر الجليلة من هياكل ومراسح وقصور شتى. وفي مرفإها كان يحتلّ الاسطول الروماني لمراقبة البحر المتوسّط. وشرّفها كثيرون من القياصرة بزيارتهم. فكلّ ذلك كان مدعاةً لتُمنَح امتيازاً لتدريس الحقوق الرومانيّة. ثم (ثالثاً) استعداد بيروت لانشاء مدرسة فقهيّة فانَّ وفرة المعاملات التجاريّة تفتح باباً للدعاوي والدعاوي لا تُفصل الّا بالرجوع الى الشرائع فلا بُدَّ من درس الشرائع. ولذلك كانت رومية جمعت بيروت مستودَعاً لما يسنّهُ ملوكها وساستها من الشرائع فكانت تودع في خزائن بيروت. لنا على ذلك شاهد في الدستور المعروف بالغريغوري في السنة ١٩٦ للميلاد. فوجود هذا المجموع الثمين يدلّ على قول العلّامة الالماني الكبير «موميسن» على انَّ مدرسة بيروت كانت سبقت تلك السنة. انّما السير كوليه فيفضّل القول بانَّ المدرسة أُنشئت بعد اختزان تلك الشرائع في مستودعات بيروت فعلى رأيه انَّ بعض المتفقهين اذ وجدوا لديهم تلك الشرائع اخذوا يدرسونها ويُفتون بموجبها ثمَّ اتّسع شغلهم واشتهروا بفنّ المحاماة ففكّروا في انشاء مدرسة قانونيّة

﴿المطلب الثالث﴾ اين وردت المعلومات عن مدرسة بيروت الرومانيّة الفقهيّة ؟ رأيت انّ اقدم شاهد على وجود مدرسة الحقوق في بيروت يرقى الى السنة ٢٣٩ . وجاء ذكرها في ترجمة القديس الشهيد افيان الذي درس فيها الحقوق قبل استشهاده في قيصريّة سنة ٣٠٦م . وكذلك ذكرها الامبراطوران ديوقلطيانوس ومكسيميانوس في قرار أصدراه في اواخر القرن الثالث في حقّ التلامذة القادمين من بلاد العرب بموجبه رُخّص لهم ان يدرسوا الحقوق في بيروت ولو كان عمرهم بالغاً الى ٢٥ سنة فأثبتا بذلك اعتبارها لطَلَبة الفقه في بيروت

امّا الشواهد عن المدرسة البيروتيّة في القرن الخامس فعديدة واضحة منها شهادة اوناپيوس الفيلسوف الوثني في مديحه لاناتوليوس البيروتي الذي كان اتقن علم الحقوق في وطنه قال « ولا عجب لانّ بيروت هي امّ وظئر العلوم الفقهيّة » . ومنها شهادة القديس غريغوريوس النزيزي مركز في أنها الشرائع الرومانيّة . واخصّ منها عدّة شواهد الكبير اساتذة الخطابة والاداب في عصره ليبانيوس الانطاكي معلم القديس يوحنّا فم الذهب انّهُ كرّر مرارًا في رسائله ذكر مدرسة بيروت واطرأ تعليمها زاده اسفهُ على العدد الغفير من الشبّان الذين كانوا يفضّلون درس الحقوق في بيروت على درس الخطابة في انطاكية . ويستفاد من كلامه انّ لغة التدريس في بيروت كانت اللاتينيّة

وكذلك ورد في كتاب وصف عموم الارض (Descriptio orbis terræ) لاحد كتبة القرن الرابع مديحٌ بليغ في بيروت ومدرستها التي « شاعت في العالم الروماني تعاليمها الفقهيّة كما شاع في كلّ انحاء المملكة ذكر مشاهير الفقهاء المتخرّجين فيها »

ومثلها شأنًا الشواهد التي وردت لكتبة القرن الخامس كشهادة مؤرّخ حياة الشابّين الشقيقين اركاديوس ويوحنّا اللذين رُوِيَت في المشرق(١٢ [١٩٠٩] : ٦٩٤) قصّتها العجيبة اذ ارسلها ابواهما ليدرسا الفقه في بيروت . وكشهادة الشاعر الوثني نونّس الذي افاض في اوصاف بيروت ودعا معلّمي مدرستها الفقهيّة « اساتذة المسكونة » οἱ τῆς οἰκουμένης διδάσκαλοι

واصرحُ وابلغ منها شهادة زكريّا النزّي الخطيب الذي سُقِف على جزيرة متيلين

في سيرة ساويرس الانطاكي التي كتبها بالسريانية فوصف فيها سلوك ساويرس في بيروت حيث أتى ليدرس الفقه نحو السنة ٤٨٦. فذكر زكريا المدرسة الفقهية واتسع في تعريف دروسها وطلبتها واساتذها وما كان جارياً فيها من العادات بل افادنا عن عدة اخبار بخصوص بيروت واهلها واكليروسها وكنائسها ومبانيها

هذا فضلاً عن شهادات أخرى جاء فيها ذكر بعض تلامذة مدرسة بيروت كما سترى

وكان أطيب شهادة على محاسن مدرسة بيروت مديحاً للامبراطور يوستنيان في منشورَين لهُ عن الدروس الفقهية (Omnem و Tanta) كتبها في ١٦ ك ١ سنة ٥٣٣ وكرَّر ثناءهُ على «بيروت الفائقة الجمال وظئر الشرائع» وقد جعلها احدى المدارس الثلث مع رومية والقسطنطينية التي تعرفها الدولة رسمياً

فترى انَّ هذه الشواهد متواصلة منذ القرن الثالث الى السادس وكلها لسان واحد في الثناء على معاهد بيروت لتعليم الفقه الروماني. ولم تنتهِ تلك المحامد إلَّا بما عقبها من اصوات الاسف لمَّا أصيبت بنكبة الزلازل التي الحقتها بالدقماء وابادت آثار مدرستها وذلك في ١٦ تموز سنة ٥٥١

٢ معاهد مدرسة بيروت الفقهيَّة

هو الفصل الثاني الذي حاول فيهِ المسيو كولَينه ان يعيّن موقع مدرسة بيروت ومعاهدها التي كانت تُلقى فيها الدروس الحقوقيَّة إلَّا انَّ ما أصيبت بهِ المدينة من الآفات وضروب الخراب قلَّ ما يسمح بتعيين مكان المدرسة. فاعاد المؤلف نظرهُ في ما كتبهُ القدماء عن المدرسة واحوالها ولاسيما زكريَّا الخطيب في ترجمة ساويرس وما وُجد في المدينة من الآثار القديمة فتبيَّن لهُ انَّ المدرسة كانت قريبة من احدى كنائس بيروت الثلث المذكورة في زكريَّا اعني كنيسة الرسول يهوذا وكنيسة مريم وكنيسة القيامة ورجَّح عليها كنيسة القيامة لأنَّها كانت الكنيسة الكاتدرائية الكبرى التي شيَّدها اسقف المدينة اوستاتيوس (٤٤٣–٤٦٠) في مكان كنيسة سابقة كان القيصر يوثيانس حكم على والي المدينة الوثني مَغنوس ان يشيّدها على نفقتهِ سنة ٣٦٤ لأنَّهُ كان امر بحرقها في عهد يوليانس الجاحد. اما سبب تفضيله لهذه الكنيسة على سواها

فلأدلة مختلفة واشارات دقيقة وردت في رواية زكريا الخطيب تثبت قرب وقوع مدرسة الفقه بجوار كنيسة القيامة . والى هذا الرأي ذهب ايضاً لوكيان (٢ : ٨١٩) في كتابه الشرق المسيحي والاب جوليان اليسوعي في كتابه « سينا وسوريّة » اثبتا رأيهما بألوف عادة تلك الاجيال بان تُجعل المدارس قريباً من الكنائس

ولكن اين كان موقع كنيسة القيامة ؟ كانت قريبة من الطريق الرومانية الممتدّة من الشرق الى الغرب مارّة بين مستشفى راهبات المحبّة وكاتدرائية مار جرجس للموارنة . على انّ البعض جعلوها شمالي الطريق اي عند المستشفى المذكور إلّا وُجد هناك من الآثار القديمة . لكنّ المسيو كولينه يخالف هذا الرأي ويجعلها جنوبي الطريق المذكورة قريباً من كنيسة مار جرجس وذلك لسببين اوّلاً لان كنيسة القيامة كانت داخل سور المدينة فان جُعلت في مستشفى راهبات المحبة اقتضى القول بأنّها كانت خارجة عن السور . وثانياً لان الآثار القديمة التي وُجدت جنوبي الطريق كانت اوفر واعظم ممّا وُجد في شماليها . وأيّد ذلك بكتابة ضريحيّة وجدت هناك وقف عليها حضرة الاب جلابرت اليسوعي وفيها ذكر احد اساتذة مدرسة الفقهيّة البيروتيّة الدعو بتريكيوس فكأنّهُ دُفن في الكنيسة المجاورة للمدرسة التي علّم فيها

٣ الطلبة في مدرسة الفقه البيروتيّة

قسم المؤلف هذا الفصل الثالث من كتابه اربعة اقسام بحث في (الاوّل) عن الطلبة القادمين الى مدرسة بيروت واستعدادهم لدروسها . وفي (الثاني) عن اصلهم وجنسهم واسمائهم . وفي (الثالث) عن معاشهم . وفي (الرابع) عن اعمارهم

١ كان طلبة الفقه قبل تفرُّغهم لدرس الحقوق يحتاجون الى دروس لغويّة وادبيّة في اللغتين اليونانيّة واللاتينيّة تؤهلهم للدخول في مصفّ تلامذة العلوم الفقهيّة . فتلك الدروس الثانويّة كانوا يتلقّونها في أوطانهم امّا بمساعدة بعض المعلمين الخصوصيين او في المدارس الوطنيّة العموميّة . وقد ورد بين هذه المدارس ذكر الحاضرتين الكبيرتين الاسكندريّة وانطاكية فان العلوم الادبية فيهما كانت بلغت شهرة واسعة . فكان تلامذتها اذا انجزوا دروسهم الثانويّة يقصدون بيروت لينتظموا في سلك دارسي الحقوق الرومانيّة

٢ قد جمع جناب المؤلف في كتابه (ص ٨٤-٩٨) نحو خمسين اسماً من طلبة الفقه الذين تخرّجوا في مدرسة بيروت نقلها عن الكتبة المعاصرين لاسيما ليبانيوس استاذ الخطابة الشهير في انطاكية وزكريّا الخطيب في ترجمة ساويروس الانطاكي والمورخ بروكوبيوس الغزّي الشهير. فهذه الاسماء اما يونانيّة كاناطوليوس وناوردورس واثناسيوس وانستاس وايثفريوس واما لاتينيّة كفلاڤيانوس وهيلاديوس وسلوانس واركاديوس. ومنها اسماء نصرانيّة محضة كبطرس وزكريّا ومكاريوس ويوحنّا وقسطنطين وفيلبّوس

اما اوطانهم فالبعض منهم من بيروت كپمفيلوس واناطوليوس وقسطنطين. او من جهات سوريّا وفلسطين كفيّانوس الصوري وزكريّا الغزي ومثله خمسة آخرون من غزّة وكزكريّا ويوحنا من مَيُومة وناوددورس وايثفريوس واسطفان من عسقلان وارتيمون وهرموجان وباونينوس من انطاكية وكانستاس من الرها وايثفريوس السيباطي. وكان غيرهم من جزيرة العرب كسترينوس وناوددورس ويوحنّا وبعضهم من الاسكندريّة كاثناسيوس وايزيدورس او من عين شمس وكأسكليبيودوتس ومعظمهم من آسيا الصغرى من بيثينيا وقيليقيا وايبريا وليقيا واليونان حتى من القسطنطينيّة كابرنغيوس واركاديوس ويوحنا اخيه

وقد افادنا ليبانيوس الانطاكي انّ طلبة الحقوق في بيروت كانوا في اوّل الامر من اواسط القوم ثمّ اخذ اولاد الاعيان يهجرون العلوم اللسانيّة لينقطعوا لعلم الحقوق في بيروت

اما اديانهم فكان بعضهم وثنيين كارتيمون وهرموجانس وهيلاريوس وبعضهم مانويّين كجرجس التسالونيكي واسكليبيودوتس ولاونطيوس يتعاطون السحر كما ورد في اخبار ساويرس الانطاكي في اواخر القرن الخامس فحُكم عليهم بالنفي. واما العدد الاوفر منهم فكانوا من المسيحيين استشهد منهم القديس بمفيليوس اسقف غزّة البيروتي سنة ٣٠٩ والأخوان الشهيدان افيانوس في قيصريّة وايديسيوس في الاسكندريّة (١ وتسقّف غيرهم كساويروس الانطاكي وزكريّا الغزّي ويوحنا العربيّ والبعض صاروا كهنةً كيوحنا الفلسطينيّ الذي خدم كنيسة القديس يهوذا في

١) وقد جاء للمؤلف بالغلط (ص ٣٩) انّ افيانوس كان اسقفاً على قيصريّة

بيروت في اواخر القرن الخامس واسطفان الصقلاني ويوحنا روفوس . وتنسك آخرون كاثناسيوس من بلاد كارية واركاديوس ويوحنا الاخوين ترهبا في بعض اديرة فلسطين (١

وقد اصاب بعض هؤلاء الدارسين مناصب شريفة كاناطوليوس الذي صار والياً في عهد القيصر يوليانوس الجاحد وكفيانوس الصوري الذي تعيّن قنصلية فينيقية سنة ٣٦٢ واما الذين اشتهروا بالمحاماة فكثيرون

٣ كان معاش الدارسين في بيروت مبنياً على اتفاق مع اهلها او اصحاب فنادقها . وكان التلامذة يدفعون لاساتذتهم راتباً معيّناً ما خلا ما كانت الدولة تجعل لهم من الوظائف . وكان الطلبة يتعاضدون بعقد نقابة يدعونها شركة الدارسين ليدافعوا عن حقوقهم . على انّ المتقدّمين منهم في الدروس كان يتحكّمون على المبتدئين من الطلبة ويسومونهم خسفاً حتى اضطرّ الامبراطور يوستنيان ان يضع حدّاً لتلك المعاملات الجائرة

اما مسالك الدارسين فكان بعض اتجه اتجاهاً كبيراً فانّ قسماً كبيراً منهم كان يستسلم للذّات والشهوات الباطلة مع ما كانوا يلقون في بيروت من اسباب الغناء والدواعي الى الترف لاسيما انّ الوثنيّة لم تزل سائدة على شطر من المدينة . وقد أدّى سوء السلوك ببعضهم الى ان تعاطوا السحريّات واصبحوا عثرة في سبيل رفقتهم بل تأذّى منهم البيروتيّون لولا انّ اسقف المدينة أعلن بمساوئهم ودفع الحكّام على نفيهم

على انّ قسماً آخر من الطلبة وبالخصوص المسيحيين منهم لم يدعوا اهواء العالم تتغلب على قلوبهم فكانوا يلازمون الحياة الصالحة ويتشبّثون بأهداب الدين . وقد ورد في سيرة ساويروس الانطاكي انهُ كان في كلّ مساء يزور مع بعض رفاقه كنيسة القيامة ويمارسون الاعمال التقويّة فاصبحوا قدوةً لرصفائهم بل عدل بعضهم عن درس الحقوق الى اعتناق الكهنوت او المعيشة النسكيّة

وقد انبأت الآثار الباقية ان كثيرين من الطلبة المذكورين نجوا من عثرات الشباب بانكبابهم على الدرس وتعمّقهم في العلوم الفقهيّة . فلا عجب ان شهرة مدرسة بيروت انتشرت بسببهم اذ انتدبتهم الدولة الى مناصب الافتاء والمحاماة في حواضر

(١) لكنهما لم يستشهدا كما ورد في الكتاب (ص٤٢) لا هما ولا والداهما

البلاد فاحرزوا لهم سمعة طيبة

٤ أما اعمار الدارسين فكانت غالباً بين الخامسة عشرة والعشرين من سنهم فيدرسون اصول العلوم الفقهيَّة وفروعها اربع سنين ومنهم من يضيف اليها سنةً خامسة. على انَّ هذه القاعدة شذَّت نوعاً بتقرير للقيصرين ديوقاطيانس ومكسيميانوس أعلنا فيه بالرخصة للتلامذة العرب ان يواصلوا دروسهم الى السنة ٢٥ من عمرهم ثمَّ اتَّسعوا في هذه الرخصة حتى انَّ بعض الطلبة كانوا يبلغون الكهولة وجاء في احد تواريخ ساويروس الانطاكي انهُ بقي في بيروت الى السنة الثلثين من عمره

٤ اساتذة المدارس الفقهيَّة في بيروت

هو الباب الرابع من تأليف المسيو كولينه (١١٩-٢٠٤) بحث فيه عن اسماء اساتذة بيروت في مدرستها الرومانيَّة الفقهيَّة وعددهم وتنصيبهم ورواتبهم وامتيازاتهم

اما (اسماء اولئك المدرّسين) فلا يُعرف منهم احد قبل القرن الرابع فانَّ الذين زعموا بانَّ كبار الفقهاء في القرنين الثاني والثالث كمايوس وألبيان وبابينيان ومرسيان وتريفونيوس علَّموا الفقه في بيروت لا يستندون الى سند ثابت بل رووا قولهم حدساً لانَّ اولئك الاساتذة كان اصلهم من بعض مدن سوريَّة او مرُّوا ببيروت

وفي القرن الرابع لا يُعرف من اساتذة بيروت إلَّا المسمَّى دومتيوس تكرَّر ذكرهُ في رسائل ليبانيوس يوصيه بشبَّان يذهبون من انطاكية ليتعلَّموا الفقه في بيروت

اما القرن الخامس وهو قرن المدرسة الذهبي فقد اشتهر فيهِ كثيرون من معلميها الذين نَعَتَهم احد معاصريهم « بأساتذة العالم » اخصُّهم كيرلس شارح كتب ألبيان وبابنيان ثمَّ باتريقيوس المعروف بالاستاذ الكبير وبملك مدرسة بيروت الفقهيَّة ويرجَّح انَّ الكتابة المحطَّمة التي وجدها حضرة الاب جلابرت قريباً من كنيسة مار جرجس الروم وجاء فيها ذكر « باتريكيوس العالم بالشرائع » انما هي لضريح هذا الاستاذ. ثمَّ الاساتذة دومتيوس وديوستان واوذوكسيوس وأمبليكوس ولاونتيوس بن اوذكسيوس

وهذا الاخير كان يعلم في اواخر القرن الخامس وتولى مدةً ولاية الشرق على عهد القيصر انستاس (٤٩١–٥١٨) ثمَّ مات في نواحي سنة ٥٣٠

وقد رجحت بيروت في القرن الخامس بفضل اساتذتها من الامبراطورين ثاودوسيوس والثنيان ان رفعا رتبتها بقرار خصوصي بين السنتين ٤١٨–٤٥٠ فتحاها شرف الحاضرة (metropolis Berytus) ورُقي ايضاً بسببها سقف المدينة الى درجة المتروبوليت مستقلاً من متروبوليَّة صور. وكذلك رُقيا المدرسة بقرار ثانٍ الى امتياز المدرسة الرسميَّة (Privilegium studii) كمدينتي رومية والقسطنطينيَّة وفي ذلك العهد نُقلت معاهد التعليم الى جبرة الكنيسة قبل السنة ٤٤٩م

أمَّا القرن الخامس فذكر من اساتذة بيروت ما خلا اناطوليوس بن لاونتيوس ثلاثاوسُ واسطفان ويوليانوس ودوروثاوس وهؤلاء استعان بهم الامبراطور يوستنيان لتنقيح كتب الشرع وتلخيصها وتنظيمها . وفي اواسط هذا القرن خربت بيروت ومدرستها بالزلازل

وان سألتَ عن (عدد المعلّمين) السنوي للسنين الاربع او الخمس التي كان يُدرَّس فيها الفقه في القرون الاولى لم تجد معلماً خاصاً لكل سنة . بل كان المعلّم الواحد يدرّس تلامذة سنتين وهكذا لم يزد عدد المعلّمين على اثنين او ثلثة فان لاونتيوس مثلاً الذي ذكره زكريا الخطيب كان يلقي دروسهُ على تلامذة السنتين الاولى والثانية . وانما بلغ عدد الاساتذة بموجب منشور يوستنيان الى اربعة

واما (تعيين المعلّمين) للتدريس فكان حُرًّا لا يتقيَّد قبل القرن الرابع إلَّا بتصديق مجلس الشيوخ في بيروت فيصدّقون عليه . وفي السنة ٣٦٢ نشر يوليانس الجاحد قراراً اشترط فيه ان يصير تعيين المعلمين بموجب صكّ من قائد العشرة وتصديق اعيان المدينة ثمَّ افترض الامبراطور ثاودوسيوس ان يُعرَض عليه قرار للقائد والشيوخ فيكون اليه المرجع الاخير . وليس لدينا ما يشترط للتعليم من عمر المعلّمين ولعلَّ كل الذين انهوا دروسهم الفقهيَّة كانوا يستطيعون ان يعرضوا انفسهم للتعليم حتى منذ العشرين من عمرهم

. من جهة (رواتب المعلمين) لم تُعطهم الدولة معاشاً قبل القرن الخامس فكانوا يتَّفقون على اجرة معلومة مع تلامذتهم كما يتَّضح من كتابات ليبانيوس . والرجح انَّ

الحكومة اجرت عليهم الجرايات منذ السنة ٤٢٥ كما فعلت مع اساتذة مدارس الفقه في رومية والقسطنطينيّة وهي المدارس الرسميّة الثلث بعد إلغاء سواها

وكذلك خُصّ اساتذة الفقه ببعض (الامتيازات) في القرن السادس كمافاتهم من بعض الخدم للدولة التي كان أُعفي منها قبلهم الاطبّاء ومعلمو الآداب اللاتينيّة

٥ التعليم في مدارس بيروت الفقهية

كان اساتذة بيروت يلقون دروسهم الفقهيّة في القرنين الثالث والرابع في اللغة اللاتينيّة كما تشهد عليه سيرة القديس غريغوريوس العجائبي وكتابات ليبانيوس . لكنهم عدلوا الى اللغة اليونانيّة في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس وذلك بعد انقسام الدولة الرومانيّة بين اركاديوس وهنوريوس ولدَي ثاودوسيوس فاستفحل استعمال اللغة اليونانيّة في بوزنطية ومملكة الروم فضلاً عن شيوع اليونانيّة في معظم كنائس الشرق الادنى . فكان لاستبدال اليونانيّة من اللاتينيّة تأثير في شيوع مذاهب اليونان وآرائهم العلميّة الفلسفيّة والدينيّة

اما موادّ التعليم فكانت قبل اصلاح يوستنيان نظريّةً وعمليّةً . النظرية تتناول شرح تآليف كبار الفقهاء كاوليان وبابنيان وغايوس وپاولس والعملية تشتمل على الفتاوى التي افتى بها ارباب الشرع في الدعاوي الخاصّة فدُوّنت في المحاكم الرومانيّة . وكانت تلك الموادّ مقسّمة على اربع سنين ثمّ اضافوا اليها درس مناشير القياصرة وشرائعهم الدولية وذلك في سنة خامسة . اما بموجب اصلاح يوستنيان من السنة ٥٣٤ فخصّت السنة الاولى بمقدّمات دستور يوستنيان ثمّ في الثلث السنوات التالية كان المعلّمون يشرحون بعضاً من كتب الدستور المذكور (Digestes) البالغ الى ٣٦ كتاباً المقسّمة على ثلثة اقسام وكان التعليم للسنة الخامسة اختيارياً يتعاطاهُ بعض المجتهدين في دروس خصوصيّة

وقد اختلف اسلوب التعليم قبل دستور يوستنيان وبعدهُ . فانّ الاساتذة في القرنين الثالث والرابع . كانوا يقسمون تعليمهم بين التعليم النظري والعملي كما قيل سابقاً وذلك باختيار المعلّمين موادّ تعليمهم . وقد صار هذا الاسلوب نظامياً في القرن الخامس واوائل السادس . فكان الاساتذة يلقون دروسهم في كلّ ايام الاسبوع الّا

مساء يوم السبت ويوم الاحد بتمامه وكانوا يفتتحون كلّ درس بذكر بعض النصوص الشرعيّة فيدلّون على فحواها ثم يفسّرونها لفظاً ومعنى ويشفعونها بالملحوظات المختلفة ويقابلون بين شروح مَن تقدّمهم ويبدون فيها رأيهم ثم يلقون على تلامذتهم السؤالات لينبّهوا اليها افكارهم وكان الدارسون في اثناء ذلك يدوّنون في دفاترهم خلاصة ما سمعوهُ من اساتذتهم

وهذا التعليم تغيّر نوعاً بظهور الدستور اليوستنياني منذ السنة ٥٣٣ اذ كان يكتفي المعلّم ان يأخذ فصلاً من فصولهِ ويبيّن معناهُ دون اضافةٍ وانتقاد عليهِ ومعارضتهِ بما يخالفهُ

وكانت السنة المدرسيّة تبتدئ عادةً في الخريف إلّا انّ ظروفاً شتى قضت بمخالفة هذه العادة فانّنا نرى بعض التلامذة قصدوا بيروت لحضور دروسها في الربيع وبعضهم حضر في الصيف. وفي الصيف باشر احد الاساتذة هيلاريوس بالقاء دروسهِ

وكان التلامذة عند نهاية دروسهم يطلبون من اساتذتهم اجازةً تشهد على حضورهم في المدارس في السنين المعيّنة وعلى كفايتهم في فنّ المحاماة. وكانوا اذا ارادوا مزاولة فنّهم يطلعون ارباب البلاد على اجازتهم فيصدّقون عليها

٦ في اعمال اساتذة مدرسة الفقه البيروتيّة

انّ الذين نظموا في جملة اساتذة بيروت كبارَ فقهاء القرنين الثاني والثالث كمايوس وألبيان وپاپنيان ينسبون ايضاً تآليفهم الشهيرة الى مدرسة بيروت وقد قلنا سابقاً ان هذا الرأي يخلو من سندٍ ثابت. وكذلك ما ارتآهُ العلّامة مومسن بنسبةِ الدستور الغريغوري الى مدرسة بيروت ليس امراً راهناً اذ لم يُفدنا احد عن غريغوريوس المذكور انّهُ علّم في بيروت. ومثلهُ الدستور المنسوب الى هرموجانس فانّ تعليمهُ في مدرسة بيروت مشكوك بهِ. وكذلك مجاميع اخرى شرعيّة شاعت في القرون الثاني والثالث والرابع لا يمكننا ان ننسبها قطعيّاً لاساتذة مدرسة بيروت. وما لا ريب فيهِ انّ هذه التآليف وُضعت في الشرق كما يظهر من مضامينها ولعلّ مصنّفيها من اساتذة بيروت لكننا لم نجب حتى الآن بنصّ صريح يزيل الشكّ من هذا القبيل

ومما لا يطرأ عليه ادنى ريب مصنّفات اساتذة بيروت في القرن الخامس فانّ كيرلّس

صنف التعريفات الشرعية Ὑπόμνημα τῶν Βασιλικῶν الذي كان المعوّل عليه قبل الدستور اليوستنياني

وألّف بتريقيوس شروحاً على الدساتير الحقوقية التي سبقت زمانهُ وتذييلات على المناشير القيصرية الملوكية . ومثلهُ رصينهُ دومنيوس الذي وضع شروحاً على الدستورين الغريغوري والثاردوسي . وكذلك ديوستان واودوكسيوس وامبليكوس ولاونتيوس فانَّ لجميعهم بعض التآليف الشرعية وخصوصاً الشروح على الدساتير الشرعية . والى اساتذة بيروت تُنسب التفاسير المعروفة بالسينائية (Scholia Sinaïtica) وتآليف غيرها لم يتّفق العلماء على مصنّفيها

امّا اساتذة القرن السادس فان لهم فضلاً كبيراً بمساعدة يوستنيان في اصلاحه للشرائع الرومانية وكان انتدب لهذا العمل معلّمي الحقوق في مدرسة بيروت كدوروثاوس واناطوليوس وثلالاوس وايزيدورس واسطفان واستحقوا بذلك شكر كل علماء الفقه . ومنهم من جعل للدستور اليوستنياني فهارس او ألّف له خلاصة تغني عن مطوّلاته

ونرى من هذه المجالة ما يحتويه كتاب الدستور الذي نقلهُ من باريس الجمعية التي بها احيا بعض مفاخر وطننا المطموسة وجعل لمدرسة الحقوق الفرنسوية الحديثة مثالاً يقتدي بهِ معلّموها وطلبتها فيكسبون بيروت فخراً جديداً يُضاف الى مآثرها القديمة فلهُ منّا الشكر العميم

رحلة الى جبل الشيخ

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

١ من بيروت الى بلدة بشارة

اننا بفضل عطلة المدارس السنوية امكننا في اوائل شهر تموز الماضي ان نزور جبل حرمون المعروف بجبل الشيخ ونطّلع على شيء من آثاره فنقلتنا السيّارات بساعتين

صنف التعريفات الشرعية Ὑπόμνημα τῶν Βασιλικῶν الذي كان المعوّل عليه قبل الدستور اليوستنياني

وألّف بتريقيوس شروحاً على الدساتير الحقوقية التي سبقت زمانهُ وتذييلات على المناشير القيصرية الملوكية . ومثلهُ رصينهُ دومنيوس الذي وضع شروحاً على الدستورين الغريغوري والثاردوسي . وكذلك ديوستان واودوكسيوس وامبليكوس ولاونتيوس فانَّ لجميعهم بعض التآليف الشرعية وخصوصاً الشروح على الدساتير الشرعية . والى اساتذة بيروت تُنسب التفاسير المعروفة بالسينائية (Scholia Sinaïtica) وتآليف غيرها لم يتّفق العلماء على مصنّفيها

امّا اساتذة القرن السادس فان لهم فضلاً كبيراً بمساعدة يوستنيان في اصلاحه للشرائع الرومانية وكان انتدب لهذا العمل معلّمي الحقوق في مدرسة بيروت كدوروثاوس واناطوليوس وثلالاوس وايزيدورس واسطفان واستحقوا بذلك شكر كل علماء الفقه . ومنهم من جعل للدستور اليوستنياني فهارس او ألّف له خلاصة تغني عن مطوّلاته

ونرى من هذه المجالة ما يحتويه كتاب الدستور الذي نقلهُ من باريس الجمعية التي بها احيا بعض مفاخر وطننا المطموسة وجعل لمدرسة الحقوق الفرنسوية الحديثة مثالاً يقتدي بهِ معلّموها وطلبتها فيكسبون بيروت فخراً جديداً يُضاف الى مآثرها القديمة فلهُ منّا الشكر العميم

رحلة الى جبل الشيخ

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

١ من بيروت الى بلدة بشارة

اننا بفضل عطلة المدارس السنوية امكننا في اوائل شهر تموز الماضي ان نزور جبل حرمون المعروف بجبل الشيخ ونطّلع على شيء من آثاره فنقلتنا السيّارات بساعتين

ونصف من بيروت الى النبطية احدى قرى اهل الشيعة المتاولة . وكانت هذه المسافة لا تُقطع سابقاً باقل من يومين على صهوات الخيل . والنبطية مدخل بلاد بشارة اي الجليل العليا التي كان اليهود يدعونها بجليل الامم كما ورد ذكرها في اشعيا النبي (٩: ١) وفي الجيل القديس متى (٤: ١٤) وقد دعاها بنو اسرائيل بهذا الاسم لاختلاط الاديان فيها وشيوع الوثنية بين اهلها ولا تزال الى يومنا مقاماً لعدة اديان غير الوثنية . فانَّ الغالب على اهل صيداء المسلمون السنيُّون امَّا الانحاء الجبلية فان معظم اهلها شيعيُّون متاولة . وفي فتح جبل الشيخ شمالاً وادي التيم حيث كان مهدُ دين الموحدين من الدروز . وبين كل هؤلاء في قراهم المختلفة مذاهب نصرانية مختلفة منهم الروم الكاثوليك والموارنة والسريان ومنهم الروم الاورثذكس

ومما تمتاز به بلاد البشارة انها اليوم كما كانت سابقاً الطريق من داخلية البلاد الى البحر وانما هذه الطريق غير التي جاء ذكرها في سفر التكوين (٣٧: ٢٥) في قصة يوسف فانها تمتدُّ من دمشق الى ساحل البحر . وقد رأينا قوماً من الحورانيين يطرقونها فاننا لما بلغنا بحيرة كفرتبنيت ونحن على وشك العدول عن الطريق اللاحبة وجدنا قطيعاً من بقر حوران الصغيرة منها سوداء ومنها شقراء قادها راعٍ لابس ثياباً زرقاً لتروي عطشها لسبب نقص المياه في حوران وهو يريد ان يأخذها الى صيداء والنبطية ليبيعها . وقد عرف الحورانيون هذه الطريق منذ زمن قديم والدليل على ذلك انَّ منهم من استوطنوا هذه الانحاء . فانَّ اهل جديدة النصارى الذين سنبيت عندهم هذا المساء اصلهم من حوران انتقلوا الى هذه الاصقاع في القرن السابع عشر . ولما وصلنا الى ارنون رافقنا احد اهلها المتاولة المدعو حسين الحوراني

ولا عجب في وجود هذه المواصلات لان بين جبل حرمون والبحر خطاً يتجهُ من الشرق الى الغرب من صيداء الى حاصبيا على طريق جديدة مرجيون وهي اليوم طريقنا (١ . وهذا الخط يقطع واديين عميقين وجهتُها من الشمال الى الجنوب حيث

(١ هذه مسافاتها سيراً على الاقدام من كفرتبنيت الى قامة الشقيف ساعة وربع ومن قلعة الشقيف الى جسر المردلي ساعة ونصف ومن هذا الجسر الى جديدة ساعتان ونصف ومن جديدة الى حاصبيا اربع ساعات ونصف ومن حاصبيا الى هاربه ساعتان الا ربع ومن هاربة الى شبعة ساعتان وربع ومن شبعة الى قصر عنتر خمس ساعات ومنهُ الى حاصبيا مارًّا بشبعة ست ساعات ومن حاصبيا الى قوَّه على الطريق الالمانية اربع ساعات ونصف ومن قوَّة الى مشغرة ساعة ونصف

يسيل نهر الليطاني ونهر الاردن (نهر حاصباني) ولولاهما لأصبح جبل الشيخ وسنديانه الغربي جبل الظهر حجازاً يسدّ الطريق في وجه المسافر القادم من الداخلية فيمرّ بهما دون عناء غرباً منحدراً اليهما دون عناء بل يمكنه ان يجتاز من وادٍ الى آخر تلة ارتفاع قمّة جبل الظهر في طرفه الجنوبي المشرف على مرجعيون ومزارعها المخصبة والمسائل جنوباً الى قرية مطلّة اليهودية والى بحيرة الحولة

٢ قلعة الشقيف

انّ هذا الممرّ الذي ذكرناه يفتح سبيلاً للغزاة فيمكنهم ان يزحفوا الى جهات فلسطين او يجتازوا به ليسلكوا على المدن الساحلية وهو معرّض لخطر الغزاة لم يكن ليسهو عنه الفينيقيّون وقد لحظه الفرنج الصليبيون فاستدركوا كلّ شيء وشيّدوا على جوانبه حصنين حرزين ليوقفوا الجيوش الدمشقيّة فاقاموا عند وادي الاردن قريباً من بانياس (وهي قيصريّة فيلبّوس) حصن تبنين وبنوا عند اسفل مجرى نهر الليطاني (القاسمية) الحصن الذي سمّوه بوفور (Beaufort) وهو المعروف اليوم بقلعة الشقيف وكان أحدهم يشرفون منه الزاحفين على صيداء ولا تزال بقايا هذا الحصن المهيب تلوح لنا حتى وراء البركة التي تستقي منها المواشي

فزرنا هذا الاثر الجليل الذي صبر على آفات الدهر الى يومنا لكنّ ايدي الانسان ربّما فعلت ما لا يفعله الزمان. فانّ العلّامة الاثري البارون راي في كتابه عن المباني العسكريّة للصليبيين في سورية (١ ذكر كتعفة هناك في اعلى الابنية باباً بيضوي الشكل كان يدخل منه الداخل الى قاعة كبيرة مقبّبة فأردنا أن نعاينه فلم نجده. أمّا البرج المقطوع الرأس الى البدنة فهو كما ذكره «راي» وكذلك بقيّة الآثار التي وصفها وصوّر رسومها. فان الصليبيين كانوا قد اختاروا لتشييد حصنهم شرفة ضيّقة تُطلّ عمودياً على النهر وترتفع قليلاً في شمالها فاتّخذوا لبناء القلعة اصعب المسالك وهي تقيس مئة متر طولاً في ثلثين عرضاً جنوبيّاً وخصّوا الساحة المجاورة للقلعة لسكنى الخدم والجند واحتفروا بين الساحة المذكورة والقلعة خندقاً عميقاً منحوتاً في

(١ وهذا اسمه: Rey : Etude de l'Architecture militaire des Croisés en Syrie (1871)

الصخر كانوا يملأونهُ ماء ويُبعدون به المسافة الى باب القلعة الواقع في جنوبيها الشرقي بحيث يرمون من البرج بالقذائف العدوَّ الطالب الدخول وذلك على مسافة مئة متر . وكان الجانب الجنوبي محصَّناً ببرجين قويين يُرى الواحدُ منها منتصباً وهو يشهد ابراعة بُناته

وهذه الاخربة جامدةٌ خاوية في معظم أيام السنة إلَّا مرَّتين الى ثلث مرَّات في السنة فيصعد اليها فرسان راكبين جيادًا على رؤوسها رياش الزينة وفي ايدي ركَّابها الشبابيت فيركضون خيلهم ويلعبون بالجريد وذلك في ساحة ضيقة مع خطر سقوطهم منها الى عمق نحو الف قدم

على انَّ هذه الالعاب الرياضيَّة ليست إلَّا صورة ضعيفة لما جرى عند هذا الحصن من معامع القتال فكم سُفك هناك من الدماء بعد ان شيَّدها امراء صيداء الصليبيُّون في اوائل القرن الثالث عشر ثمَّ فتحها صلاح الدين فافتزعها من ايدي وينر دي شاتيليون بعد ان حاصرها سنتين . ثمَّ استولى عليها بموجب معاهدة الصلح الفرسان الهيكليُّون فدافعوا عنها مدَّةً حتى فتحها نهائيًّا السلطان ركن الدين بيبرس سنة ١٢٦٨ . وفي القرن السابع عشر عُني الامير فخر الدين بترميمها وجعلها في تخوم دولته الجنوبيَّة الشرقيَّة كحارسة لما نواهُ من استقلال لبنان لكنَّ الاتراك خربوا برجها وبنوا لدركهم مخفرًا لمراقبة جسر الخردلي ذي القناطر البيضويَّة الممتدّ فوق نهر القاسميَّة تحت قلعة الشقيف . ولمَّا خرب المخفر التركي اقيم بدلهُ غربي الجسر مرقبان صغيران مجهَّزان بكوًى لضرب المعادين بناهما الفرنسويُّون سنة ١٩٢٠ لايقاف ما كانوا ينتظرون من جيش الامير فيصل

٣ عاصيا . جبل الشيخ

انَّ حوادث سنة ١٩٢٠ تُرى حتى اليوم آثارها المشئومة على تلك الانحاء اذ سادت عليها الفوضى فلم يُعرف تماماً أهي لفرنسة ام للامير فيصل فاخذ الاشقياء ينهبون ويعيثون في البلاد . والامير لا يبدي حراكاً مع ان تلك الجهات كانت في حيز دولته والدليل عليهِ انَّ احد تجار دمشق من الروم الكاثوليك نال من فيصل امتيازًا لاربعين سنة لضمان منتاجم الحُمَر القريبة من نهر حاصبيًّا فلما صار الحكم

لفرنسة لم يُصادق على ذاك الامتياز إلّا بعد مقاولات ودعاوي طويلة. أمّا قصر حاصبيّا وسرايتها معاً فكان يسكنهُ احد الامراء الشهابيين من ذرّية الامير بشير وهو الامير فؤاد فاختارهُ الامير فيصل كوزير مالِيّتهِ. فلمّا دارت عليهِ الدوائر لحق هو بمدينة بروسّة وقضى فيها مدّة يدرس تربية دود الحرير. وقد رجع منذ حين الى وطنهِ وهو يفكر اليوم في تحسين احوالهِ ماديًّا وادبيًّا ويسعى الى جانب المصطافين اليهِ وانّنا نبشر المصطافين بالهناء لدى سعادتهِ فلا شكَّ انهُ يرحّب بهم كما اكرم وفادتنا. ثمّ حللنا في دار حضرة الخوري دمتري جمّال راعي طائفة الروم الكاثوليك في حاصبيّا فاستقبلنا استقبال الاخوان ومن فضلهِ انهُ نال لنا من قبل الامير الشهابي توصيةً لاحد وجوه المسلمين في شبعة وهي قرية كبيرة يبلغ عدد نفوسها ٣٥٠٠٠ نسمة كنّا نوينا أن نبيت فيها في مساء ذلك النهار فنرقد بضع ساعات قبل ان نتوغّل الى اعالي جبل الشيخ

سرنا الى شبعة فبلغناها بعد اربع ساعات مشياً عند الغروب فلم نجد في بيتهِ الشيخَ الذي حملنا اليهِ التوصية الّا انَّ اباهُ وحماهُ كانا هناك وقد تفانت زوجته الملقّبة في كرامة مثوانا وتهيئة كل اسباب الضيافة العربية لراحتنا. وقد علمنا انّ ابنها وحيدها سافر قبل ثلاث سنوات الى جزيرة كوبا ولم يأتها نبأ يطمئن بالها عن احوالهِ فشاركنا لحزنها وحاولنا تعزيتها طاقة جهدنا وتمنّينا لها ان تنال قريباً ما يهدّئ روعها بعودتهِ او بورود اخبارهِ

لم نُطل الاقامة في ضيافة هؤلاء الكرام وبعد نوم خفيف قمنا متأهبين لصعود ذلك الجبل الذي لم تُبلَغ قمتهُ إلّا بعد خمس ساعات يضاف اليها ساعتان للراحة وكان بعضنا راكبين وغيرهم سائرين على الاقدام وكان القمر ينير الاودية المشرفة على شبعة فنتسع النظر بما نراهُ من اشجارها كالجوز والسرو والبلّوط قدْ اغصانها الوارفة على سنابل الحنطة الناضجة. ثمّ بلغنا المنطقة القاحلة فكنّا نسير بين الصخور وانّما يتخلّلها بعض الاعشاب الكروية الرماديّة اللون تزينها زهور ناصعة او سمنجونيّة

وكان املنا ان نبلغ الى قمة الجبل قبل طلوع الشمس لنسرّح الابصار في البلاد التي تحيط بهِ. ذلك منظرٌ فريد لم نحظَ بهِ لتأخرنا في السير وانّما اصبنا منهُ شيئاً ثمّ تحوّلنا عن جهتهِ الشماليّة الغربيّة لنرقى الى قمّة اخرى جنوباً تُدعى بقصر عنتر وكانت الابخرة

المتصاعدة من الاودية تحجب في الجنوب الشرقي نظر براكين حوران. امّا جبال مواب الجنوبيّة فكانت تلوح سلسلتُها التي تمتاز بينها قمة جبل نيبو. وكان يقوم بازائنا قريباً منّا جبل الكرمل ضارباً الى السواد. وفي وسط مواب والكرمل وادي الاردن العميق مع بعض الملامح الى بحيرة الحولة وبحيرة طبريّة. ويحدّ تلك الجهات شرقاً جبل جلعاد ذو التقاطيع والحزون والبطون المتعدّدة فتذكّرنا ما جرى هناك لبني اسرائيل من الحروب التي رواها سفر القضاة. وجلعاد هذه كانت موطن يفتاح. وكنّا ننظر في شمالنا الغربي سهول البقاع وعلى احد جانبيها لبنان وقمتهُ كجبال نيحا والباروك وصنين والمكمل وعلى الجانب الآخر لجبل الشرقي يتفرّع منهُ شرقاً ما وراء دمشق وغوطتها الغنّاء جبلُ قلمون مأوى النصارى قديماً

وهذه قمّة جبل الشيخ منقطعة عن سواها في كلّ محيطها وجوانبُها وعرةٌ خشبة واسفل منها بنحو ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر تتبجّس المياه فتسيل بين المزارع الى أرنا فيتكوّن منها هناك نهر بربر المدعو في سفر الملوك الثاني(٥ : ١٠—١٢)نهر فرفر الذي وصف نعمان السوري زلال مياههِ الصافية

. وقد استعظم الكنعانيّون في قديم الزمان جبل الشيخ لما كانوا يرون من خيراتهِ ولاسيما من نَداهُ ومياههِ فاعتبروهُ كمركز للاله العلي ملك الارض وسيّد القيوم فعبدوهُ باسم بعل حرمون وقد ذُكر مرّتين في الاسفار المقدّسة (قضاة ٣ : ٣ واخبار الأيام الاوّل ٥ : ٢٣). وقد ذكر القديس ايرونيموس في القرن الخامس للمسيح انّ اهل البلاد كانوا في عهده يصعدون الى مشارف الجبل ليقدّموا هناك الذبائح. وما لا ريب فيهِ انّ الوثنيين في عهد الرومان كانوا يكرمون جبالنا لبنان والكرمل والجبل الاقرع فوق انطاكية بل يعبدونها كآلهة. وفي قمّة جبل الشيخ تُرى الى الآن آثار تلك العبادة فان فوق قمّتهِ الجنوبيّة المخروطة الشكل في علوّ خمسة او ستة امتار دائرةً او حميً من الحجارة بيضويّة الصورة كانت قديماً ذات سافَين من نحيت الحجارة الضخمة اللاصقة بصخور الجبل. وفي جنوبي الحمى هيكل صغير تدلّ نقوشهُ على هندسة رومانيّة. امّا المخروط السابق ذكرهُ فقد اتّخذوهُ لوضع عَلَم يستدلّ بهِ على قياس الارض. والصخر هنا قد حُفر على صورة قُمع قطرهُ من ثلثة الى اربعة امتار

وبقيت هذه الآثار كلُغز لم يدرك معناه الى ان حلّهُ احد علماء المستشرقين المأسوف

عليه شرل كارمون غانو فانهُ عثر على كتابة يونانيَّة كانت جمعيَّة فلسطين الانكليزيَّة (PEF) وجدتها في وسط الحصى المذكور فكشف معناها وكان تعريبها : « بامر الاله العليّ القدُّوس من هنا (يسير) المُقسِمون » فبيَّن من هذه الكتابة انَّ قوماً كانوا يطوفون حول ذلك المزار والكتابةُ تدلّ على المكان الذي يُباشر فيه الطواف . ومن المعلوم انَّ الساميين كانوا اعتادوا الطواف حول هياكلهم وقد بقي من ذلك الى يومنا الطواف حول الكعبة في مكة . امَّا ذكرهُ للمُقسِمين اي المتعبِّدين بالحلفان فهو يريد بهِ امَّا فئةً من عبَّاد الوثنيين الذين يرتبطون بقسَم لخدمة آلهتهم كالفئة التي شاعت في انطاكية بيزيدية كان اصحابُها يلزمون انفسهم بحلفان يدعى تكمور . وإمَّا قوماً من الاهلين كانوا يتوقلون هذا الجبل لممارسة بعض مناسك دينيَّة يلتزمونها بنذر . وقد جاء في كتاب الزور المعروف بكتاب اخنوخ انَّ الملائكة ابناء الله كان عددهم مئتين اقسموا على قمَّة هذا الجبل ان يباشروا بنات البشر (اطلب سفر التكوين ٦ : ٢-٣٨)

امَّا الحفرة المكوَّرة على شكل القمع ففيها اشارة الى بعض عادات قدماء السوريين الوثنيين . وقد ذكر سم المؤرخ لوسيانوس السميساتي ودعاهم باسم « يريد » (Yérid) وذلك انهم كانوا يزعمون انهم اذا تلوا الماء باحتفال من البحر او من بعض الآبار الى قمَّة الجبل فسكبوهُ في هذه الحفرة المقدَّسة ستتوفَّر في تلك السنة المياه ببركة الاله الجبلي وتسيل من ينابيع الجبل . وقد اثبت المسيو كارمون غانو في مجموعاته الاثريَّة الشرقية (Recueil d'Archéologie Orientale, V. 1903, 346 ss.) انَّ هذه العادة في نقل المياه الى قمَّة الجبال جرت في جبال اخرى كجبل الكنيسة حيث تُرى حفرة مثل حفرة جبل عنتر مستديرة كبيرة . وممَّا سمعتهُ من ثقات في السنة ١٩٠٨ انَّ قوماً من الدروز والمتاولة كانوا يصعدون مرَّة في السنة الى قمَّة هذا الجبل ليضحُّوا عليه ديكاً . وقد لحظ الاب اليسوعي نويل موترد حفرةً محوَّرة على شبه هاتين الحفرتين على جبل موسى بين غزير ونهر ابرهيم نُقرت ايضاً لهذه الغاية الدينيَّة لانَّ القدماء ولاسيما الفلَّاحين كانوا يتقرَّبون بهذه الوسيلة الى آلهتهم ليستعطفوا رضاهم وينالوا منهم تحويل قوى الطبيعة لصالحهم وبالاخصّ الامطار والمياه لسقي مزارعهم وشرب مواشيهم

٤ تطور التعدد العنصري

كانت الوثنية معشّشة في هذه الجهات قبل العهد الروماني فلمّا استولى الرومان على البلاد وفتحوا الطرق المفروشة بالحجر البركاني واصبحت المعاملات بين الشعوب سهلة نفذت اليها النصرانيّة . وكذلك تيسّرت ايضاً في عهدنا المواصلات . وفي اواخر هذه السنة الحاضرة ستنجز الطريق التي يمدّونها من بانياس الى مرجعيون وكذلك من المرجّح انهم يتمّون الطريق التي كان الالمان باشروا فتحها بين بانياس والمشغرة . وصارت الاوتوموبيلات تقطع الطريق من بيروت الى حاصبيّا باربع ساعات ومن صيدا بثلاث ساعات . نعم انّ تلك الاصقاع لم تتغيّر عن كيانها إلّا ان افكار القوم تتحوّل شيئاً فشيئاً فانّ الاهلين على الرغم من اختلاف نزعاتهم واديانهم صاروا يدركون معنى الوطن ويسعون نوعاً الى خدمة الخير العام

وكنّا في طريقنا نلتقي بابناء السابلة من الدروز فلا نلحظ فيهم شيئاً من امارات العداء او النفور بسبب الحوادث الجارية اليوم في جبلهم . فانّ الشعب هنا عموماً يرضى من الانتداب الفرنسوي بما يرى به من اسباب الامن والراحة . واذ كنّا نرتاح قليلاً في ظلّ زيتونةٍ قصدنا اليها شيخ من الدروز وسلّم علينا وألقى علينا اسئلة عن اشغالنا وحرّمنا واذ علم انّنا رُهبان بارك الله . وسألناهُ عن احواله وعن علّة صَمَمِهِ فاخبرنا انّهُ اصابهُ وقرُ السمع بغتةً لكنه يسلّم الامر الى مشيئة الله

ودخل البعض منّا على شيخ الدروز في حاصبيّا وهو من الاجاويد فسُرّ بزيارتهم وسمح لهم ان يعاينوا خلوتهم المعروفة بخلوة البيّاضة فلمّا وصلوا الى الساحة الممتدّة امامها وجدوها مظلّلة بسنديانة عاديّة ضخمة وتحتها طنافس مفروشة دعوهم الى الجلوس عليها ثمّ قدّموا لهم المرطّبات . ثمّ سمحوا لهم بالولوج الى الخلوة فرأوها كحُجرة واسعة تحيط بها السواري على شكل بيضويّ فهناك يجتمع الموحدون . وكانت هذه الزيارة فرصة للتفاوض في الاديان فجرى في ذلك حديثٌ بيننا وبين الدروز

وبقرب السنديانة بناية مستديرة لا سَقْف فوقها وجدرانها منحرفة على شبه المدارج وفي صدرها مقعد مستدير ومركزها مُفرَغ مفروش بالبلاط الكبير وانّما يُدخَل اليها من باب ضيق . وهم يدعون هذا البناء « مهبط الوحي » . وقد رأينا نحن

فيهِ صورةً حيَّة لما يُذكَر عن المياكل الوثنيَّة القديمة انَّهُ كان يُلحَق بهـا مَسْرَح ديني كما ترى في سَيْعة في العربيَّة المعروفة بالحجَرة وفي دورة صلاحيَّة عند الفرات . وكان القدماء يفردون تلك المسارح للاغاني الدينيَّة ولالقاء الخطب والمواعظ . ولعلّ الدروز يقيمون في هذا المكان مناسكهم الخاصَّة . وزعموا انَّ بعض اهل دينهم ينزلون فيها أيَّاماً بل اشهرًا يتفرَّغون فيها لاعمال تقويَّة . وقد خطر لهم ان يسألونا عن فرائضنا الرهبانيَّة فسُررنا بان نفيدهم عن حياتنا النسكيَّة وتجرُّدنا بالنذور عن غنى العالم وملذَّاته

وممَّا لحظنا في سياحتنا هذه انَّ سكَّان تلك الجهات لا تدفعهم اديانهم المختلفة الى التعصُّب بل يعيشون بالوفاق والوداد ولسيادة مطران الروم الكاثوليك في جديدة السيِّد اكليمنضوس معلوف نفوذٌ كبير بينهم والكلّ يجلُّونهُ ويعزّونهُ واذا وقع بينهم خلاف يقصدونهُ بكل ثقة ويعرضون عليهِ مشاكلهم الدينيَّة والادبيَّة فيحلّها لهم وهم يقرّون بعلمهِ الواسع وبتراهتهِ

ونحن باختام نتمنَّى لجميع سكَّان هذه النواحي ان تتألف قلوبهم فينعموا بنعمة السلام والحقّ

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

١٣ دير الشرفة والقطر المصري

قد أسدى السريان المصريّون الى دير الشرفة في لبنان عوارف جمَّة ومبرّات شتى أحيت لهم فيه ذكرًا طيباً وثناء عاطرًا يردّده الجميع بجميم الشكر ويدعون لهم باجزل الثواب والاجر

على ان البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه († ١٨٠٠) مؤسس هذا الدير

فيهِ صورةً حيَّة لما يُذكَر عن المياكل الوثنيَّة القديمة انَّهُ كان يُلحَق بهـا مَسْرَح ديني كما ترى في سَيْعة في العربيَّة المعروفة بالحجَرة وفي دورة صلاحيَّة عند الفرات . وكان القدماء يفردون تلك المسارح للاغاني الدينيَّة ولالقاء الخطب والمواعظ . ولعلّ الدروز يقيمون في هذا المكان مناسكهم الخاصَّة . وزعموا انَّ بعض اهل دينهم ينزلون فيها أيَّاماً بل اشهرًا يتفرَّغون فيها لاعمال تقويَّة . وقد خطر لهم ان يسألونا عن فرائضنا الرهبانيَّة فسُررنا بان نفيدهم عن حياتنا النسكيَّة وتجرُّدنا بالنذور عن غنى العالم وملذَّاته

وممَّا لحظنا في سياحتنا هذه انَّ سكَّان تلك الجهات لا تدفعهم اديانهم المختلفة الى التعصُّب بل يعيشون بالوفاق والوداد ولسيادة مطران الروم الكاثوليك في جديدة السيِّد اكليمنضوس معلوف نفوذٌ كبير بينهم والكلّ يجلُّونهُ ويعزّونهُ واذا وقع بينهم خلاف يقصدونهُ بكل ثقة ويعرضون عليهِ مشاكلهم الدينيَّة والادبيَّة فيحلّها لهم وهم يقرّون بعلمهِ الواسع وبتراهتهِ

ونحن باختام نتمنَّى لجميع سكَّان هذه النواحي ان تتألف قلوبهم فينعموا بنعمة السلام والحقّ

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

١٣ دير الشرفة والقطر المصري

قد أسدى السريان المصريّون الى دير الشرفة في لبنان عوارف جمَّة ومبرّات شتى أحيت لهم فيه ذكرًا طيباً وثناء عاطرًا يردّده الجميع بجميم الشكر ويدعون لهم باجزل الثواب والاجر

على ان البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه († ١٨٠٠) مؤسس هذا الدير

المذكور في الخير ما كاد يستريح من المشقّات والضيقات العديدة التي تواردت عليه حتى أوفد سنة ١٧٨٥ الخوري شكرالله براغيث الحلبي خدمة ابناء رعيّته في القاهرة وكتب اليه واليهم يستجديهم ويستعطفهم على هذا العهد الحديث. فاجابوا الى طلبه من فورهم ومدّوا لهُ يد البرّ والمعروف (١ وجادوا عليه ايضاً بمخطوطات مهمّة نسخوها بيدهم او امتلكوها بما لهم في ذلك القطر. وقد شئنا ان نلخّص شيئاً من تلك الحسنات ونورد بعض تلك المخطوطات التي لا تزال حتى اليوم مصونة فيه فنقول:

ان اوّل من غرس في دير الشرفة أغراس الاحسان والفضل كان الخوري شكرالله براغيث فانه أوفد اليه في السنة ١٧٨٥ عينها اواني بيعيّة كمجمرة فضيّة وحقّ بخور وصليب مطليّ بذهب ومصنفة وكتاب فرض سرياني (ܩܘܕܫ) الخ. وجمع من كرم ابناء الطائفة كالخواجا حنا جروه شقيق البطريرك وغيره مبلغاً صالحاً أنفقه البطريرك في البناء. وفي مشترى عقار للدير سنة ١٧٨٧. وحذا حذوه القس يوسف صبّي فجمع مالاً جزيلاً من السريان المصريّين أوفده الى السيّد انطون الآمديّ النائب الرسولي († ١٨١٦) فأسس به الغرف لسكنى الكهنة. وجادت الحاجّة مريم ارملة فرج الله مبارك شاه فحبست في ١٣ تشرين الثاني ١٨٠٨ نصف دارها في القاهرة لدير الشرفة ووقفت النصف الثاني للرهبتين الباسيليّتين المخلّصيّة والشويرية. وفي ١٢ ايلول ١٨٢٢ اضطرّ السيد البطريرك اغناطيوس بطرس جروه († ١٨٥١) ان يبيع نصف الدار المذكورة ويشتري بقيمتها اراضي توت في رعشين بلبنان ويخصّصها بوقفيّة مريم وزوجها. وهي اليوم معدودة من احسن املاك الدير واخصبها. وحذا حذو الحاجّة مريم المحسنة الخواجا جرجس اجقم والخواجا اسطفان شديّاق فتبرّعا بمبلغ اشترى به البطريرك السابق الذكر ارض توت في بقعاثا في ١٠ ايلول ١٨٢٢.

وتبرّع السريان المصريّون بمبلغ وافر اشتروا به دارين احداهما في درب الجنينة والاخرى في درب البرابرة ووقفوهما لدير الشرفة. ولمّا تداعيتا سنة ١٨٨٤ كتب وجهاء الملّة الى السيد اغناطيوس جرجس شلحت († ١٨٩١) يلتمسون ان يخصّص كلتا

١) الطلب في المشرق تاريخ دير الشرفة (١٨[١٩٢٠]: ٥٧٤-٥٦٥)

الدارين بوقف كنيسة مار الياس بمصر على ان يؤدّوا عوضاً عنها لدير الشرفة ثلاثمائة ليرة افرنسيّة ذهباً. فاجاب البطريرك المغبوط الى طلبهم. واشترى في آب ١٨٨٤ الخوري يوسف معارباشي رئيس الدير عقاراً جعلهُ وقفاً حسب نيّة المحسنين الكرام

واشترى السريان المصريون ايضاً ارضاً مشتركة بينهم وبين بطريركيّة القبط الكاثوليك وقفوها بمساعي القس يوسف صبّي سنة ١٨٠٩ لدير الشرفة. واتّفق ان بطريركية القبط باعت الارض الموما اليها فصرف السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري النائب البطريركي مساعيهُ في طلب حقوق الدير وقبض ثمن ليرة مصريّة اوفدها الى رئيس الدير الخوري موسى سركيس فخصصها بوقف على نفس المحسنين في ٢٣ نيسان ١٩١٠

امّا المخطوطات المنسوخة في وادي النيل والمحفوظة في دير الشرفة فأشهرها :

١ كتاب مزامير داود النبي نُسخ بحروف كرشونيّة سنة ١٤٩٨ م في برية الصعيد على ما ورد في خاتمة صلاة سمعان العمودي ونصّه « ههههل سلهما هنلا حهه اهلا حهههنا واههههلهه » نسخهُ موسى الخاطئ سنة ١٨٠٩ي١٤٩٨م في برية الصعيد. وهو يتضمن عدا المزامير ترجمة عربية عدّة صلوات وميامر سريانيّة وصلوات عربية منسوبة الى ابرهيم القيدوني واثناسيوس وافرام وفيلكسين وشنوده واشعيا وسمعان العمودي. وذكر الناسخ « الطلبة السابعة ليوم السبت (وقال) انها جُمعت من الابصاليات القبطي » وهذا المخطوط الجليل ملكه سنة ١٧٥٧ م الشماس نعمة الله جروه وهو البطريرك ميخائيل مؤسس دير الشرفة

٢ « كتاب البستان في اخبار الرهبان » تأليف القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم ومنه نسختان في مكتبة دير الشرفة نسخ احداهما في مصر الحقير في رؤساء الكهنة يوحنا سعيد. خوري مدينة مصر والقاهرة. ابن المرحوم الخوري عبدالله الشهير بالسعيد. القدسي بلداً والسرياني لغةً والكاثوليكي الروماني مذهباً. في سنة ١٧٦٩م » وقد وقفه ناسخه الخوري يوحنا لدير مار افرام عين الزعم بلبنان سنة ١٧٧٧ » ثم نُقل بعد حريق الدير المذكور الى دير الشرفة سنة ١٨٤٠

٣ « كتاب ميامر اسحق النينوي » النسطوري منسوخ على رقّ بحروف عربية سبق لنا وصفه في مجلة المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ٢١٩) في اول بابهِ (تشرين الاوّل)

سنة ١١٩٥ للشهداء و١٤٧٨م . وفي خزانة كتب دير الشرفة نسخة ثانية من هذا المؤلف « كل نسخها في اوّل هتور سنة ٩٩٨ للشهداء » و١٢٨٢م . وقد وردت فيه هذه العبارة . « نُقلت هذه النسخة بدير القديسة الطاهرة مرتريم صحنايا صحنايا ... من نسخة الاب القس غبريال بن فخر الكفاة ... نقلها ... جرجس الراهب القليوبي ابن القس اسحق ابن القس ابي نصر ... » وقد ألحق الناسخ بهذا الكتاب ميمراً لمار افرام وخمس مقالات لسمعان العموديّ بالعربية

٤ « كتاب البرهان في القوانين المكمّلة والفرائض المعملة » وهو خمسون مقالة تأليف « ابي شاكر ابن الراهب ... ابن المهذّب ... خادم كنيسة السيدة مرتريم ... المعروفة بالمعلّقة بقصر الشمع بفسطاط مصر سنة ٩٨٧ للشهداء وسنة ٦٦٩ للهجرة (١٢٧٠ م) نسخهُ بحرف كرشوني في دير الزعفران الراهب جرجس الحلبي لابن عمته الربّان جرجس ابن المقدسي اليان القتّال ... في عهد البطريرك شكرالله الماردديني ١٧٤٥م »

٥ « كتاب الاعتقاد الصحيح في تجسّد المسيح » منه ثلاث نسخ كرشونية في مكتبة الشرفة وهو « تأليف متروبوليت القدس الشريف مار غريغوريوس جرجس الحلبي » ورد في المقدّمة ما نصه : « ان السبب في اهتمامنا بهذا الكتاب هو انه لما كنا جالسين في مدينة مصر والصعيد بقصد زيارة مَدَبّر (كذا) بريّة) ابهاتنا السوّاح القديسين وفي بعض خيريّات ومصالح امارة المكان المقدّس ... باورشليم دخلنا الى احد البيوت فاخذوا يحاجّوننا في مسئلة الدين فاخذنا بتأليف هذا الكتاب » وقد جاء في آخر هذا المخطوط « تمّ الكتاب . وكان ابتداؤه في محروسة مصر القاهرة ... والمقصود منه الاخبار عمّا جرى بيننا وبين البادري انطون في بلد جرجا في صعيد مصر بحضور البادري بولس في بيت المعلم جرجس سنة ١٧٥٤م »

٦ « كتاب المعلّم والتلميذ » نُسخ بحروف كرشونية سنة ١٧٢٧م . « عُني بجمعه البطرك انبا كرلس ابن لقلق المعروف اوّلاً بالقس داود ورفيقه القس بولس البوشيّ . وهو ملخّص كتاب الاعتراف المسمّى كتاب الروس ... صحّحه المعلّم ابو الفرج ابن الشيخ فخر الدولة ابي الفضل العسّال » . وهذا ابن لقلق تولى بطريركية الاقباط بامر الملك العادل بن الكامل فعاندهُ المصريّون وابطلوا بطريركيته وفرغ الكرسي تسع عشرة

سنة حتى تولى البطريرك سيوس وتوفي سنة ١٢٦١م فخلفه بنيامين فجرجس († ١٣٦٢م) فمتى († ١٤٠٩م) (١

٧ً «فصول مختصرة في تثليث الاتحاد» ذُكر في هذه النسخة المكتوبة بحروف كرشونية انها «عملت بالقاهرة المعزية لطالبها في اواخر سنة ٦٥٩ العربية (سنة ١٢٦١م) لابن العسّال. وورد فيها نبذة تتضمن اسماء الآباء والمصنفين نقتطف منها ما يلي «الاب البطريرك انبا اثناسيوس الرسولي ... وانبا سويرس البطريرك الكبير بانطاكية سرياني اللسان والرئاسة. والبطريرك ابرهيم السرياني اللسان القبطي الرئاسة (٢ ... والاب حبيب ابن حرير (بالحاء المهملة) التكريتي استف تكريت.. المعروف بابي رابطة. والشيخ يحيى الاسكلاني صاحب كتاب حدث العالم الذي ناقض به فرقلس وارسطو القائلين بقدم العالم. وقيل انه نسطوري. والشيخ العالم... برهان النحلة اليعقوبية يحيى بن عديّ († ٩٧٤) . والشيخ ابو علي... عيسى ابن اسحق ابن زرعة تلميذ يحيى المذكور († ١٠٠٧) وتلميذه الآخر يحيى بن جرير (كذا) صاحب المقالة في الكاهن والكهنوت. والكاهن يعقوب الماردائي صاحب كتاب «دعوة القسوس» الخ

٨ً «شرح رسائل مار بولس» يرتقي هذا المخطوط الجليل الى ما قبل القرن الخامس عشر وهو خالٍ من اسم المؤلف. ومن التاريخ ويحتوي اولًا على سيرة مار بولس الرسول واعماله وذكر الكاتب في القسم الخامس منه: «انه يشتمل على ثلاثة انحاء. فالاول على عدد فصول كل رسالة قبطيًا وعلى كيّة كلماتها في النص السرياني. ويشرحها المؤلف في القسم الثامن شرحًا لغويًا كقوله: «انتحل. يقال فلان ينتحل مذهب كذا اي ينتسب اليه» الخ. وتلي ذلك «رسالة ديونوسيوس الكبير الى القديس كليماتوس (اقليميس) الرسول تلميذ بولس السليح من اجل استشهاد بطرس وبولس الرسولين الطاهرين بمدينة رومية». وتعقب ذلك رسالة مار بولس الى اهل رومية ثم الرسائل القاثوليقية ثم الابركسيس. وتتخلل سطور الكتاب كلمات بحروف قبطيّة. وورد في آخره «دلّال ما يجب قراءته في شهور السنة القبطيّة.. على حكم الاعياد

١) اطلب صبح الاعشى للقلقشندي (٥: ٣١١ ٣١٢)

٢) هو البطريرك ابرام السرياني الذي اوردنا ذكره (عدد ٧ من مقالتنا هذه)

المرتبة في الفصول» وهو فهرس فصول القراءات لآحاد السنة واعيادها وتذكاراتها. وقد جاء فيه ذكر لسويرس اربع مرّات احداها في شهر بابه ذكرًا اشارةً الى دخوله ارض مصر. ويلي ذلك فهرس للاصوام مثل «ثلثة ايام نينوى وفصحهم. واسابيع الصوم واحد القيامة وجمعة الفرح التي تتلو الفصح المقدّس. وسبوت وحدود الخمسين... وذكر مار افرام الزاهد والانبا افرهام السرياني الخ»

٩ً «كتاب روضة الفريد وسلوة الوحيد» وهو مخطوط كرشوني «تأليف سمعان ابن... مقاره المترئس بدير القديس ابي يحنّس ببرّية الاسقيط». يتضمّن اثني عشر فصلًا. وقد ورد في المقدّمة انه يُنسب الى راهب من رهبان دير القديس ابي يحنّس القصير. نسخهُ الرّبان قرياقس السرياني سنة ١٦٠٥م. ومنه نسخة ثانية في مكتبة الشرفة كتبها الخوري ابراهيم ابن الشماس زكريا الحدثي سنة ١٦٨٨م

١٠ً «كتاب الاباحيث» تجاه ذوي الطبيعتين ناطرة وخلقيدونيّين. منسوخ بحروف كرشونية ذو ٤٨٠ صفحة منسوق نسق سؤال وجواب بين يوناني وسرياني. جاء في اخرها فائدة سريانية هذا شرحها: «تولى سويرا بطريركية انطاكية في عهد انسطاس... ولما خانه يسطنيان واخذ يضطهد الكنيسة (اليعقوبية) ترك سويرا كرسيه وارتحل معه جميع اساقفة سورية... وكانت رسامته على انطاكية سنة ٨٦٩ اليونان (٥٥٨م) (١ في تشرين الثاني... وصنّف ثلاثة كتب يشتمل كل منها على ثلاثمائة رسالة». وبعد ذلك كتاب الناسخ رسالتين اوفدهما كرّس الى نسطور وجاء في آخرها: «تمّت الرسالة وما معها في ١٢ ايار ١٦٨٠م بيد هدايا بن شمّو من قرية خوديده (قرقوش) بناحية اثور (الموصل)...» وتلي ذلك نبذة هذا عنوانها «أوردةٌ من كتاب البيان في تحقيق الايمان لعلماء القبط» ثم مختصر من «كتاب الصحائح في الردّ على النصائح» لصفيّ الدولة ابن العسّال. وهو تسعة اصول منطقيّة ودينيّة تعقبها اعتراضات واجوبة سمّاها الكاتب «ثمرات» ثم «بعض ملتقطات من علماء القبط منقولة من اوراق منتثرة» في المنطق. ثم «فصل من كتاب منارة الاقداس لابن العبري» ثم نبذة صدّرها الكاتب بقوله: «امّا بعد فقد سألني بعض اخوتنا بالله احد رهبان الطائفة الافرنجية... ايونا جرجس الراهب الايسوعي الذي قدم الى دمشق... ان اجيبه عن

١) تولى سويرا بطريركية انطاكية دخيلًا سنة ٥١٢ وتوفي سنة ٥٣٨

معتقدي اليعقوبيّة المشهور» وختم الناسخ كتابه بتاريخ سريانيّ هذا تعريبهُ . «انتهى الكتاب بيد هدايا سنة ١٧٩٠ م كتبه للشماس ابن القس عبد الجليل عبد الازلي. . .»

١١ً «كتاب الاب الفاضل . . . ابي الفرج ابن الشيخ فخر الدولة ابن العسّال» وهو منسوخ بحروف كرشونيّة سنة ١٥٩٤ م في قلعة المرأة شرقي ماردين

١٢ً «زجليات» لفضل الله الابياريّ وابي السعد الابوتيجي . ومنه نسختان جميلتان في مكتبة دير الشرفة مخطوطتان بحرف قاعديّ ظريف وعنوان كل زجلية بحروف قبطيّة واغلبها تتضمن مديح العذراء مريم اليك على سبيل المثل مطلع الزجليّة الثامنة عشرة:

يا ستّ العذارى مدحي فيك تجارهْ
يا ستّ البراتىْ وعمار الكنائسْ
مدحي في المجالسْ ما هوفيك خسارهْ

١٣ً ونختم هذا الفصل بذكر مخطوط عربيّ فصيح العبارة لم يُذكر اسم مؤلفهِ ملكه القس ميخائيل ابن الشمّاس نعمة الله الملقّب بابن جروه سنة ١٧٥٧ مسيحيّة و٢٠٦٨ يونانيّة وقد نُسخ قبل السنة ١٥٩٣ م . تنقصه الورقة الاولى. ثم عثرنا في المكتبة عينها على مخطوط آخر منسوخ في القرن السادس عشر اهداه جناب القمندان نيلب دي طرّازي الى مكتبة الشرفة يشتمل على كتاب «روضة الفريد وسلوة الوحيد» يليه في آخره كتابٌ ثانٍ واذا هو نسخة كاملة لهذا الكتاب الناقص وهو يبتدئ هكذا :

«بسم الله الواحد الابدي الازلي السرمدي وبهِ نستعين»

«كتاب طبّ النمّ وشفاء الحزن والهمّ تأليف بعض العلماء كتبه لاحد اصدقائه من محبي الفضيلة فنعنا الله به امين»

«سامك الله من كل محنة وحجبك عن كل ملمّة. وجعلك من الصابرين على آدابهِ. الشاكرين الراضين بقضائهِ. الفائزين بفضلهِ. لمّا كان الحزن أعزّك الله داءً دويًّا . ومرضاً وبيًّا . مفسداً للعقول ومخلقاً للنفوس. وكان كثيراً ما يعرض في عالم الكون والفساد لاسبابٍ نحن ذاكروها فيا يستأنف رأينا ان تتحفك (وهنا تبتدئ النسخة الناقصة وبها عرفنا انها نسختان لكتاب

واحد) بدوننا الذي اخترناه لدفعه . وطبنا الذي انتخبناه لعلاجه . وان تنيلك بما يسلبك من غومك . ويشفيك من احزاناتك وهمومك . ممتثلين لقول الرسول اذ يقول فليغفر بعضكم بعضاً . وليرحم بعضكم بعضاً . ونحن نستعمل في كلامنا ثلاث طرق من العلم . احدها علم المشاهدة بالحواس . والثاني الاستدلال بالعقل وبحكيم الفكر . والثالث كلام الله تعالى الموضوع للاعتبار والتدبير . ثم نضيف الى ذلك باباً رابعاً نعلمك باخبار الماضين . وما لحق بالمصطفين المنتخبين . فلا تدع اعزّك الله درس كتابنا هذا . ولا تنقل عن قولنا ومواعظنا وآدابنا . فالإدمان على قراءته . واستعمال قوارعه . وتمييز معانيه . ينصرف عن قلبك الغمّ والحزن . . . »

وورد في آخر المخطوط . « كان الفراغ من نسخها يوم الاربعا ثامن عشر يوونه (حزيران) من شهور سنة 38 . . . للشهداء الاطهار الموافق عام خمسون سنه والف للهجرة . (١٦٤٨م) على يد الشماس برصوم . . . بن فضل الله بن . . . يوحنا النصراني اليعقوبي المغلوطي . . نقله من نسخة للاب الفاضل . . . القمص غبريال الشهير . . . بابن منصور مرشد كاتب القلاية المعمورة الابوية المرقسية . وكان مشمراً . . . في ضيق نفس ويسأل الله تعالى افراج الكرب . . . »

ثم ورد بخطّ احدث زمناً : « طالعه الحقير يوحنا . . . بن برصوم بن ابو الفرج . . . سنة ١٠٠٢ هجرية ١٥٩٣ م

١٤ الطائفة الكلدانية في القطر المصري

ان الأمة السريانية تفرّعت منذ القرن الخامس للميلاد الى اربع فِرَق وهي الفرقة الملكيّة التي غيّرت طقسها ولغتها السريانية وبدّلتها بالطقس اليوناني واللغة العربية . ثم الفرقة السريانيّة الشرقيّة التي عُرفت بالفرقة النسطوريّة والكلدانية . والفرقة السريانية المارونية . والفرقة السريانية الكاثوليكية . وها انا افرد لكل من الطوائف الثلاث الاخيرة فصلاً نلخّص فيه حوادثها واخبارها في القطر المصري فنقول :

ان الطائفة السريانية الشرقية وهي المعروفة بالطائفة الكلدانيّة كان لها في غابر الازمنة عدّة ابرشيات عامرة في بلاد اثور وماداي واذربيجان والعرب ومغارب الهند والصين (١ وكان اساقفتها يخضعون لجاثليق الشرق . وظلّت معروفة بهذا الاسم حتى

١) قد اورد توما المرجي النسطوري اسم اثنين واربعين اسقفاً للسريان الناطرة بينهم داود طران الصين (ص ٢٤٥ من طبع الاب بيجان) ذكره طيشاوس البطريرك (+ ٨٢٣) في رسائله المشهورة وذكر غيره ايضاً عمرو بن متى في المجدل (راجع في المشرق ٣ [١٩٠٠]:

تهوّدت في بدعة نسطور فدُعيت نسطوريّة

وكان قوم من السريان الشرقيين يقطنون القطر المصري ويراجعون مطران دمشق (١ثم جُعلت مصر ابرشيّة خصوصية للسريان النساطرة ونُصب لهم فيهامطران في القرن الحادي عشر على ما اورد ماري المؤرخ النسطوري (ص١١٥). وذكر اسقفاً آخر نسطورياً يُدعى مرقس (ص ١٣٨) وقد جاء في تقويم قديم للكنيسة النسطورية ان هذه الطائفة كان لها في القاهرة والاسكندريّة كرسيّان مطرانيّان وسبعة كراسي اسقفيّة. وقد عثرنا على اسم احد اولئك الاساقفة اوردنا ذكره آنفاً (عدد ٢)

وكان الرهبان السريان الشرقيون يختلفون تارةً فأخرى الى وادي النيل ويزورون أصحابهم رهبان برّية الصعيد. وقد ذكرنا بعضهم ايضاً فيما سلف. ولا غرو انهم شادوا ثمّ بعض الاديار والمناسك. غير اننا لم نتوفق في بحثنا هذا للعثور الّا على دير واحد ابقنوه على اسم مار جرجس ذكره الشيخ ابو صالح الارمني كما قلنا (عدد ١٠)

وظلّ النساطرة على مجدهم وسؤددهم حتى القرون الوسطى فاخذوا في الضعضعة والانتقاص ودخل منهم قسم في الاسلام فأسلموا وذكر ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٢٠٠ من طبع الاب بيجان) انه في عهد الحاكم خليفة مصر († ٩٩٨ م) قُتل عيسى بن نسطور في مصر. وتولى مكانه فركسيوس (كذا) اليعقوبي وهو ابو العلاء فهد بن ابرهيم القبطي... وكان النصارى في ذلك العهد يتولون منصب الوزارة في الدولة المصرية العربية. وظلّوا كذلك الى عهد ابن العبري († ١٢٨٦) فحتم الخلفاء «ان لا يتولى الوزارة نصراني إلّم يهجر دينه ويَدِنْ بالاسلام». ولا ريب ان عيسى بن نسطور المذكور آنفاً كان احد الوزراء المشاهير في مصر

واوّل من بذل المساعي الطيّبة في عهدنا لتعزيز الطائفة الكلدانية في القاهرة كان غبطة البطريرك ايليا عبو اليونان († ١٨٩٤) صاحب الايادي البيضاء الذي خلّف لهذه الطائفة ذكرًا حميدًا لا تزال تردّده حتى اليوم. وهو الذي وضع بيده سنة ١٨٩١ الحجر الاوّل لكنيسة مار انطونيوس ابي الرهبان في القاهرة وهي من أبدع الكنائس

٧٤٣و٨٤٥ و١٣ [١٩١٠]: ٨٠٠ و ١٦ [١٩١٣]: ٧٦١ و ٢٠ [١٩٢٢]: ٩٢٩ فصولًا في آثار النصرانيّة في الصين

١) اطلب تواريخ السريان المشارقة والمغاربة للقس بطرس نصري (١: ص ٥١١)

وأجلها وقد افادنا حضرة الخوري فسقفوس جرجس ابرهمشا الفاضل ان السيدة هيلانة ارملة المرحوم انطون يوسف البغدادي تبرّعت بجميع ما يلزم لبنائها وألحقت بالكنيسة داراً لسكنى الكهنة وشادت على نفقتها ايضاً مدرسة في شبرا باسم القديسة هيلانة يزاول فيها الدروس ثلاثون طالباً من فقراء الطوائف الشرقية الكاثوليكية واشترطت هذه المحسنة الكريمة ان يتولى ادارتها اخوة المدارس المسيحية. كافأها الله تعالى بافضل الاجور. ويبلغ عدد الطائفة الكلدانية في القطر المصري زهاء الف نسمة يدبّر حاضراً شؤونهم الروحية كاهتان برئاسة الحبر الجليل السيد بطوس عزيز النائب البطريركي

١٥ الطائفة السريانية المارونية في القطر المصري

اصبح السريان الموارنة في القرون الثلاثة الاخيرة في مقدّمة الشعوب المسيحية الشرقية الذين تفقّهوا بضروب المعارف وارتحلوا الى بلاد المغرب فاخذوا عن اهلها وحازوا اسماً شريفاً ومقاماً منيفاً . والى كتبهم الاعلام يرجع الفضل في نهضة العلوم الشرقية ولاسيما الدينيّة في البلاد السورية والاقطار المصرية . فان نخبة منهم برزوا بما وضعوه من التصانيف اللغويّة والتاريخيّة التي نهجت امام انظار المغرب منهاجاً فسيحاً للوقوف على اخبار السريان خصوصاً فكشفوا لهم كنوز آدابهم واوضحوا خبايا مخطوطاتهم وخزائن اسفارهم. فالحصروني والصهيوني والحاقلي في عاصمة الفرنسيس ونيرون والسماعنة وعواد في عاصمة الكثلكة. والدويهي والتوليّ والباني وفرحات في سورية. فهؤلاء ومن ضارعهم من فحول الكتبة قد سهّلوا الطرق لروّاد العلم واصحاب البحث وارقفوهم على مكنونات اسفار الاوّلين. ويطول بنا المجال لو تحرّينا استقصاء علماء السريان الموارنة وكتبهم وشعرائهم وصحافيّيهم الذين ملأوا بمقالاتهم الرنانة الجرائد والمجلّات العربيّة في سورية ومصر دَعْ ما امتازوا به من صفاتهم التجاريّة في بيروت ومصر واميركا (١ فاحرز قسم منهم ثروة معتبرة وفازوا بشهرة فائقة

ففريق من السريان الموارنة هجروا الوطن الى القاهرة طلباً للتجارة وطائفة صاروا

١) اطلب تقاليد فرنسا في لبنان (ص٣٦ و ٣٧)

اليها هرباً من الاستبداد والعبودية نحلوا على الرحب والسعة ونشطوا للعمل وتسابقوا في اكتساب العلوم حتى ظهر منهم الصحافي والشاعر والكاتب والطبيب والمحامي. ولسنا نخشى اذا قلنا ان السريان المارنة كانوا اساس النهضة العلمية والآداب العصرية في الاقطار المصرية

واول سرياني ماروني تعهّد مصر للبحث والتنقيب عن آثار السريان كان القس الياس السمعاني اليسوعي كاتب البطريرك اسطفان الدويهي († ١٧٠٤) الطيب الذكر وهو الذي أوفد الى رومية نفرنسا سنة ١٧٠٠ ثم قصد برّية الصعيد وتفقّد دير السريان واستحصل شيئاً من المخطوطات السريانية أتحف بها المكتبة الواتكانية على ما اشرنا آنفاً

واشتهر بعده المونسنيور يوسف سمعان السمعاني مطران صور († ١٧٦٨) وكان نابغة عصره في اصناف العلوم والمعارف. قصد رومية سنة ١٦٩٥ طلباً للعلوم الكهنوتية وعمره يومئذ ثماني سنوات. وما كاد ينهي دروسه حتى فوّض اليه اقليمس الحادي عشر الحبر الروماني ان ينشئ فهرساً للمخطوطات الشرقية التي اتحف بها المكتبة الواتكانية نسيبه القس الياس المشار اليه. ثم أوفده الى سورية ومصر للبحث والتنقير عن الاسفار الشرقية القديمة فسار السمعاني الى القاهرة وقصد نحو دير والدة الله في الصعيد واشترى قسماً صالحاً من الكتب السريانية وغيرها استند اليها في وضع مؤلفه المبتكر الذي سماه المكتبة الشرقية. وبذلك فتح باباً رحباً لعلماء اوربا للوقوف على مصنفات ائمة المشرق ودرس اخبارهم وآثارهم. ونكتفي لوصف هذا الجهبذ الخطير بما كتبه اليه البابا بندكتوس الرابع عشر في رسالته المسطّرة بتاريخ ١٩ ايلول ١٧٤١ قال ما ملخّصهُ «سُرنا لمّا عرفنا ان سالفينا اقليمس الحادي عشر واقليمس الثاني عشر اوفدا كم الى اصقاع المشرق لتجمعوا المخطوطات اليونانية والسريانية والعربية. . وتيقّن اننا نتوقع الفرص لنجهر لك بعواطف اعتبارنا وعاطر ثنائنا وخالص تبجيلنا وشكرنا»(١

ولما عاد العلّامة السمعاني الى رومية حاملًا تلك الذخائر العلميّة الثمينة أخذ ينشر اخبارها ويصرّح بمضامينها وجزيل فوائدها فاستيقظ المستشرقون في فرنسا وانكلترا

١) اطلب تاريخ سورية للسيد يوسف الدبس (الجزء الاخير ص ٩٥)

وبرلين وغيرها وجعلوا يتحيّنون الفرص للشخوص الى القاهرة وضواحيها طلباً لتلك الدرر النفيسة. وكان بودّ السمعاني لو يعود ثانية الى دير السريان في الصعيد وينتقي غير ما انتقاه من المؤلفات النادرة ويحملها الى رومية. لكنّ موانع شتى حالت دون انجاز بغيته الشريفة فبقيت مسئلة تلك الصحف في طيّ النسيان حتى سنة ١٨٤٢ فأقبل المستر تاتام السائح الانكليزي ونقلها الى لندن كما ذكرنا فعدت منذ إذ من أشهر دور الكتب وأغناها وأصبحت موردًا لطلّاب العلوم الشرقية ولاسيما السريانية

وقد احتوت هذه المكتبة السريانية التي كانت في دير السريان بالصعيد على جملة مخطوطات صارت اليها من لبنان او كتبها السريان اللبنانيون اعني الموارنة فاليك شيئاً منها :

١ً انجيل سرياني (عدد ٨٦ من فهرس كتب لندن) منسوخ سنة ١٤٣٨ م في جبل لبنان المبارك في قرية العاقورة. . . كتبه الراهب الخوري نادرس

٢ً مخطوط (عدد ١٢٣) ورد فيه ما شرحه : « صلّوا على يوحنا ابن القس اسحق ابن القمص جرجس. . . من جبل لبنان »

٣ً كتاب شرطونيات (عدد ٣٠٤) حسب استعمال كنيسة السريان الموارنة . « نُسخ في دير مار يُحنّا حواش سنة ١٧٠١ يد الراهبة مريم بنت الخوري حنا من قرية درعون من بيت الشمالي في ايام سيدنا البطرك ابن الدويهي »

٤ً كتاب طقس الميانات (حمّل) وهي اناشيد سريانية للاعياد السيدية (عدد ٣٣٣) منسوخ نحو سنة ١٥٤٠م « حسب طقس موارنة جبل لبنان المبارك »

٥ً كتاب ابتهالات (ماصطا) (عدد ٤٩٣) نسخهُ القس موسى الراهب من جبل لبنان سنة ١٤٩٩م وكان هذا القس مقيماً بالقاهرة يخدم ابناء ملّته السريانيّة المارونية على ما يظهر

٦ً كتاب مار يوحنا المتوحّد (عدد ٥٧٢) منسوخ سنة ٨١٥م ورد فيه ما شرحه : « فليُذكر القس متى من قرية قولباي ببلاد صوفنيا الساكن في دير الطوباوي مار مارون. . . دخل هذا الكتاب الى مكتبة مار مارون سنة ٧٤٥ م في عهد جورجي رئيس الدير. . . ومار قزما رئيس دير مغارة مصر (بانطاكية) ومار زكريا رئيس الرامة. . . فليكن ذكرطيب للرهبان التكريتيين الذين وضعوا هذا الكتاب

في كنيسة والدة الله بالصعيد »

٧ً كتاب مواعظ وميامر لاعياد السنة (عدد ٨٢٥) نُسخ سنة ١٣٢٦ وقد جاء فيه ما تعريبه : «هذا الكتاب يخصّ دير والدة الله في الصعيد . . . صلّ يا ابانا على تلميذك موسى الذي طالع هذا الكتاب ونقل منهُ ميمرًا الى اللغة العربية سنة ١٤٩٦م وناسخ هذا الشرح هو لبناني من ولاية طرابلس »

٨ً سيرة والدة الله مريم (عدد ٩٦٣) واخبار قديسين نُقلت عن نسخة كانت محفوظة في كنيسة السريان بمكا وقد جاء في آخر الكتاب : « طالعه الاسقف يولس تلميذ مار فلكسينس اسقف حماة وطرابلس وحوذين مجبل لبنان سنة ١٥١٠ م » . غير ان هذين المخطوطين الاخيرين منسوخان على ما يُبان بقلم سرياني يعقوبي لبناني لا ماروني

وكان اغلب السريان الموارنة يقطنون بادئ ذي بدء في دمياط وتولّى خدمة نفوسهم الرهبان الحلبيّون واولهم القس موسى الشامي الذي قصد المدينة المذكورة سنة ١٧٤٥ . وعام ١٨٢٠ سُمّي القس انطون مارون الحلبي نائباً بطريركيًا في القاهرة فشاد عام ١٨٣٣ ديرًا للرهبان وكنيسة على اسم مار الياس في مصر العتيقة واشترى ارضاً للمقبرة ودارًا في درب الجنينة حوّلها القس فرنسيس مقل الحلبي سنة ١٨٥٢ الى كنيسة

وعام ١٨٦٨ اقام البطريرك بولس مسعد القس جبرائيل صفير العجلتوني وكيلًا بطريركيًا في القطر المصري فاشترى سنة ١٨٧١ ارضاً واسعة في درب الجنينة ابتنى فيها كنيسة على اسم «سيدة الخلاص» ورمّم في الزقازيق سنة ١٨٧٣ كنيسة جديدة للطائفة . وشاد عام ١٨٧٩ كنيسة على اسم مار جرجس في شارع شبرا اضاف اليها مدرسة ودارًا للوكالة واستحصل كذلك في بورسعيد ارضاً وغرفتين خصّص احداهما للمصلّى واوقد القس يوسف العجلتوني لخدمة الملة فيها . وانشأ كذلك كنيسة للموارنة في المنصورة ومصلّى في الخرطوم وتوفي في ٢٨ كانون الثاني ١٩٠٥

وساعد الاب جبرائيل الغيور حضرة الاب لويس الخازن الرئيس العام للرهبنة الحلبيّة (١ الذي تولى شؤون الطائفة في مصر سنة ١٨٧٩ واستمنح شركة قناة السويس

١) هو حاضرًا السيد يوسف الخازن

ارضاً فسيحة باشر فيها ببناء كنيسة ودار للكهنة. وتولى بعد ذلك خدمة الطائفة سنة ١٩٠٤ الاب يواصاف الشدياق العشقوتي

على ان السريان الموارنة اخذوا يزدادون رويداً رويداً في وادي النيل منذ اواسط القرن الخامس عشر. وذكر المؤرخون العصريون ان محمد علي خديوي مصر سأل الامير بشير الشهابي سنة ١٨٢٤ ان يرسل اليه رجالاً من لبنان يتولون غرس التوت في اراضي مصر لتربية دود الحرير. فاجاب الى طلبته واوفد اليه جرجس الزند وابن عمه شاهين في ثلاثين من العيال المارونية اغلبها من زوق مصبح فدرج منذ ذاك استعمال تربية دود القز في القطر المصري (١

واورد اليساس الايوبي في تاريخ مصر (١ : ٢١٤) « ان السريان الموارنة كان لهم في مصر ثلاث مدارس ابتدائية الواحدة بدرب الجنينة والثانية بقنطرة الدكة بالازبكية والثالثة بشبرا. وهي من نوع الكتاتيب البلدية. ولكنها كانت أرقى منها ماديًا. لان الطلبة كانوا يجلسون فيها على تخوت بدل جلوسهم فوق حصير على الارض كما كانت الحال في الكتاتيب »

ولما عظم امر السريان الموارنة واتسع شأنهم في وادي النيل كتبوا الى بطاركة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك يلتمسون منه ان ينصب لهم مطراناً يتولى امورهم. ونهض اذ ذاك الكونت خليل دي صعب عميد الطائفة في المنصورة المشهور بكريم صفاته واريحيته وتبرع بمبلغ مائتي الف فرنك لمنال هذه البغية الشريفة فما كان من غبطة ابي الطائفة النبيل الا ان اجاب الى طلبهم واوفد اليهم سنة ١٩٠٥ السيد يوسف دريان الجليل وفوض اليه ان يؤسس كنيسة كبرى ودارًا للمطرنة. ولما وصل الحبر الجديد الى القاهرة طفق يبذل المساعي في ذلك وجعل يطوف في المنصورة وطنطا والمحلة الكبرى ودمنهور والاسكندرية والزقازيق ويتعهد ابناء الملة وينشطهم الى بذل الاحسان في سبيل هذا العمل المبرور فتوفق الى مشترى ارض فسيحة بمبلغ سبعة آلاف ليرة مصرية مساحتها الفان وخمسمائة متر مربع وانشأ فيها كنيسة فخمة سنة ١٩٠٦ ولبث يرعاهم بالغيرة والحزم حتى توفاه الله في ٢٣ آذار ١٩٢٠

١) اطلب تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ٢٥٤)

وفي القطر المصري في عهدنا نخبة من السريان الوارثة من ذوي الشرف واليسار والعلم والادب يشغل نفر منهم المناصب الرفيعة في الحكومة المصرية ولدى معتمدي الدول الاجنبية. ومنهم قسم صالح يتعاطى المحاماة والتجارة والتآليف الخ

وأشهر الاسر المارونية في وادي النيل اسرة الكونت خليل دي صعب والكونت سليم شديد والكومندور ميخائيل بك حشيمه وحبيب بك زين ومسكات. ومن وجهائهم في الاسكندرية عبد الله باشا صفير وجرجي ونصري اسود وغيرهما

ولهم كنائس معتبرة في القاهرة وفي الاسكندرية والمنصورة والزقازيق وبورسعيد والخرطوم. ويبلغ عددهم اليوم في وادي النيل عشرة آلاف نسمة بنيف

(لهُ تتمّة)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

أدباء النصارى في هذه الحقبة (تتمّة)

﴿الدكتور بشاره زلزل﴾ كان زميل الشيخ المرحوم ابرهيم اليازجي وقد توفي قبلهُ في ١١ تشرين الثاني ١٩٠٥ في الاسكندرية. كان مولدهُ في بكفيا ودرس الطبّ في الكلية الاميركية في بيروت ونال شهادتها وزاول فنّ الطبابة في بيروت وهاجر الى مصر فرارًا من استبداد الترك. كتب في وطنهِ وفي مصر مقالات علميّة وادبيّة كثيرة في مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ ثم في المقتطف وساعد الشيخ ابرهيم في

وفي القطر المصري في عهدنا نخبة من السريان الوارثة من ذوي الشرف واليسار والعلم والادب يشغل نفر منهم المناصب الرفيعة في الحكومة المصرية ولدى معتمدي الدول الاجنبية. ومنهم قسم صالح يتعاطى المحاماة والتجارة والتآليف الخ

وأشهر الاسر المارونية في وادي النيل اسرة الكونت خليل دي صعب والكونت سليم شديد والكومندور ميخائيل بك حشيمه وحبيب بك زين ومسكات. ومن وجهائهم في الاسكندرية عبد الله باشا صفير وجرجي ونصري اسود وغيرهما

ولهم كنائس معتبرة في القاهرة وفي الاسكندرية والمنصورة والزقازيق وبورسعيد والخرطوم. ويبلغ عددهم اليوم في وادي النيل عشرة آلاف نسمة بنيف

(لهُ تتمّة)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

أدباء النصارى في هذه الحقبة (تتمّة)

﴿الدكتور بشاره زلزل﴾ كان زميل الشيخ المرحوم ابرهيم اليازجي وقد توفي قبلهُ في ١١ تشرين الثاني ١٩٠٥ في الاسكندرية. كان مولدهُ في بكفيا ودرس الطبّ في الكلية الاميركية في بيروت ونال شهادتها وزاول فنّ الطبابة في بيروت وهاجر الى مصر فرارًا من استبداد الترك. كتب في وطنهِ وفي مصر مقالات علميّة وادبيّة كثيرة في مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ ثم في المقتطف وساعد الشيخ ابرهيم في

تحرير مجلة الطبيب والبيان. ونشر في الاسكندريّة سنة ١٩٠١ كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان على نسق كليلة ودمنة والحقهُ بتكملة الحديث في الطبّ القديم والحديث». ومن مصنفاتهِ كتاب تنوير الاذهان في حياة الانسان والحيوان. ظهر منهُ قسمان. ولهُ في مجلّة النحلة منظومات شتى منها قولهُ في صاحب الدولة داود باشا اوّل متصرّفي جبل لبنان النصارى:

هو رأسنا داود باشا الذي لهُ ... من المجد والمعروف ما ليس يُحصَرُ
وزيرٌ مشيرٌ عادلٌ ذو مهابةٍ ... تُقاد لهُ الليثُ الهَصورُ الغضنفَرُ
اقام لفتح العلم همَّتهُ التي ... تُنادي لهذا الفتح الله اكبرُ
كريمٌ بِرِ عودُ الهُدى بعد يُبسهِ ... أُعيد نضيرًا فهو يسمو ويثمرُ
لهُ دولةٌ تزهو بحسن عدالةٍ ... وبطش كما قد كان كسرى وقيصرُ
ومن دولةٍ عليا قام بفخرها ... تفتخرُ فيهِ وهي بالعدل تفخرُ

وفي هذه الحقبة انقصف غصنٌ من الدوحة البستانية ﴿سعيد البستاني﴾ توفي في أيار ١٩٠١ في الحدث (لبنان) تقلّب بين مصر وبلاد الشام وعكف على الآداب العربية واصدر بعض الروايات التمثيلية كذات الخدر وسير الامير مثّل فيها اخلاق القطر المصري واسراه. لبنان وحرّر عدّة سنين جريدة لبنان الى سنة وفاتهِ. برح الحياة وهو في منتصف العمر

وقضى نحبهُ بعده ببضعة اسابيع وطنيُّهُ ﴿سبع شميّل﴾ من اسرة الشميّل الكفرشيميّة وهو في الرابعة والثلثين من عمرهِ تخصّص كآلهِ بفنّ الكتابة فألّف وحرّر في الجرائد في بيروت ومصر واوربا حتى أُصيب بداء الصدر فمات في اوائل حزيران ١٩٠١

ومن مشاهير السوريين الذين أسفت على فقدهم الآداب ﴿خليل غانم﴾ السياسي الحرّ ولد في بيروت في ٨ت٢ سنة ١٨٤٦ وتوفي في باريس في غرّة حزيران ١٩٠٣. تخرّج في شبابهِ في مدرسة عينطورة واتقن اللغتين الفرنسويّة والعربية وخدم الدولة التركيّة كترجمان لمتصرفيّة بيروت ولولاية سوريّة وللوزارة الخارجيّة في الاستانة. وانتخبهُ سكان سورية كنائب عنهم لمجلس المبعوثان سنة ١٨٧٥ وساعد مدحت باشا في وضع قانون الدولة الاساسي فكان احد اركان النهضة الدستوريّة. ولمّا حلّ

عبدالحميد مجلس المبعوثان وتشدّد على انصاره فزع خليل غانم الى السفارة الفرنسويّة وأبحر سرًّا الى فرنسة حيث ناضل الى آخر حياته عن استقلال وطنه. فانشأ في باريس عدّة جرائد عربيّة كالبصير وعربية فرنسويّة كتركيًّا الفتاة وفرنسويّة محضة كالهلال واصبح من مكاتبي جرائد فرنسة الكبرى وألّف جمعيّة تركيًّا الفتاة فسعى السلطان الى ان يؤلف قلبهُ بالهبات والمناصب فردّه خائباً ومنحتهُ فرنسة وسام جوقة الشرف. وبقي طول حياته متشبّثاً بدينه. ومن مآثره الطيبة كتابٌ من انشائه في حياة السيد المسيح يُثبت فيه بالبراهين العلميّة والدينيّة الوهيتهُ. ولهُ في الافرنسيّة تاريخ سلاطين بني عثمان. وقد عرفنا في بيروت قريبتهُ الفاضلة فاوقفتنا على بعض آثاره ونشرنا منها فصلًا في الاقتصاد. ولقد قال المرحوم يوسف خطار غانم في رثائه:

اليومُ أطفئَ نورُ بدرٍ لامعٍ ... بسما المواطن فالمصابُ بهِ وقعْ
وخبا شهابُ فؤادِ حرٍّ صادقٍ ... وبجاهدٍ اضناهُ بالوطنِ الوَلَعْ
قد فاجأتنا الحادثاتُ وأسرعتْ ... بسقوط صاعقةٍ لها القلبُ انصدعْ

ومنها:

رجلُ الحقيقة لن يموتَ لَدُنِ الأولى ... سمعوهُ واعتبروهُ بالحقّ ادّرعْ
ما مات غانمُنا فانهُ خالدٌ ... في نجحنا في فكرنا في ما وضَعْ
وفؤادهُ كنهُ الطهارة انهُ ... لقلوبنا يوحي ثبات المجتمَعْ
ومحرّكٌ فيها صلاحُ مواطنٍ ... عظمتْ وبالنصر القريب المرتفعْ

وفي السنة ١٩٠٦ في ٢٤ ايلول فقدت كليّتنا احد نخبة الادباء من ذوي البراعة في التعليم والكتابة والتأليف المرحوم فرشيد الشرتوني كان درس مدّة في مدرسة مار عبدا هرهريًا وعلّم في مدرستي عين تراز وعين طورا ثم انتدبتهُ مدرستنا الى تعليم العربيّة فخدمها خدمةً نصوحًا عدّة سنين. وكذلك وجدت فيه مطبعتنا الكاثوليكية خير مساعد لنشر كتبها المدرسيّة ولتحرير جريدة البشير فاعرب في كل اعماله عن مقدرةٍ حسنة ولهُ في المشرق فصول تاريخيّة ولغويّة اعترف لهُ القرّاء بجودة انشائها ودقّة مضامينها. ومن آثاره المستجادة مبادئهُ العربيّة في الصرف والنحو مع تمرينهِ للطلّاب في التصريف والاعراب وكتابهِ نهج المراسلة ومفتاح القراءة. وقد نشر لخدمة طائفته بعض مخطوطات العلّامة الدويهي كتاريخ الطائفة المارونيّة ومنارة الاقداس

واعمال بعض المجامع المارونيّة كما انّهُ عرّب قسماً من تاريخ لبنان للاب بطرس مرتين اليسوعي وتراجم بعض القديسين للاب فكتور دي كوبيه. ومن تعريبهِ ايضاً كتاب الرافقة بين العلم وسفر التكوين ورواية السفر العجب الى بلاد الذهب للاب اميل ريفو اليسوعي وحبيس بحيرة قدس للاب هنري لامنس. ومما بقي من مخطوطاتهِ ترجمة فلسفة الاب تونجرجي اليسوعي

وفي السنة ١٩٠٦ في يوم عيد الميلاد ودّع الحياة احد تلامذة كليّتنا النوابغ ﴿نجيب حبيقة﴾ انكبَّ على درس اللغات المدرسيّة واحراز العلوم العصريّة بكل رغبة فبرز فيها بين اقرانهِ وما كاد ينال الشهادات المؤذنة بكفاءتهِ حتى دُعي الى التدريس في كليّة القديس يوسف فعلّم عدّة سنين الصفوف العربية العالية . وعرفت ايضاً فضلهُ في التعليم مدرسة الحكمة الجليلة والمدرسة العثمانيّة للشيخ احمد عبّاس الازهري . ثمَّ تفرّغ للكتابة والتأليف وتولّى تحرير جريدة المصباح سنة ١٩٠٣ لهُ فيها وفي الشرق وغيرهما فصول ادبيّة وفنيّة مستطابة . وكان ساعياً الى تعزيز الآداب العربية وتأليف قلوب الناشئة في خدمة الوطن كما انهُ خدم الجمعيّات ووقف نفسهُ لتعليم اولاد طائفتهِ الفقراء . ولهُ آثار عديدة منها مدرسيّة كمدرجات الانشاء في ستة اجزاء ومنها ادبيّة كمقالاتهِ عن فنّ التمثيل والانتقاد ومنها روايات كالفارس الاسود وشهيد الوفاء وخريدة لبنان والشقيقتين . ولهُ قصائد رائقة سلسة وكانت باكورة قصائدهِ ما نظمهُ في يوبيل الحبر الاعظم الكهنوتي سنة ١٨٨٧ وهو اذ ذاك تلميذ فوصف السفينة البطرسيّة الرموز بها الى الكنيسة :

عصفتْ على بحر الانام رياحُ حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وعوت صواعقُ مُصعقاتٌ أزعجت بشرًا فكادت ترهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرمياً مُصخباً والموجُ ثار فساء منهُ جماحُ
والناس في غمر الخِضَمّ جميعهم خافوا فليس من النهار براحُ
ورأوا المياه تلاطمت امواجها وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمّت المُصيبة فالنجاة قد دنت آهاً أليس من الهلاك مُراحُ
لكن على سطح الخِضَمّ سفينةٌ وعلى مُقدّمها يُرى مصباحُ
قد أقبلتْ وتطايرت لخلاصهم شكرًا لجدّك ايها الملاّحُ

فيك النجاة وليس غيرك برتجى واليك كلٌّ قلبهُ مُلتاحُ
ها قد تقدّمت السفينةُ عومهم فنجا بها قوم وفيها راحوا
لم يَنْأَ عنها غيرُ مَن قد آثروا شربَ الحُتوف فذي الفعالُ قباحُ
شاموا البروقَ فأملوا منها الهدى خابت ظنونهمُ وليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاعلموا مَن ينأ عنها ضاع منهُ صلاحُ
جُدّوا ايا غرقى وأمّوها يقو دكمُ اليها نورُها الوضّاحُ
جدّوا فليس لكمُ خلاص دونها ولجميعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤها سخروا جا قبحاً لهم قالوا بأن ستُحطّمُ الالواحُ
فالموجُ يصدمها فيدفعها فلا املٌ لنفسٍ بالنجاة مُتاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ: كن آمناً بين السفينة والجهنّمِ كفاحُ
فسفينة الصيّاد تقهر خصمَها ابداً لانّ لها الصفا ملّاحُ
للحين عاد النوء صفواً رائقاً وعن البلايا زالت الاتراحُ

وقد احبّ تلامذتهُ واصدقاؤهُ ان يقيموا لهُ ضريحاً لائقاً في مقبرة طانيوس في رأس النبع تكلّفوا عليهِ مبلغاً وافراً فنصبوهُ لهُ في حفلةٍ خاصّة عيّنوها في اواسط ايّار سنة ١٩١٠ ونقشوا على صدرهِ الابيات التالية :

حيّاك يا قبرُ منّا غيثُ ادمُعنا وجادك الله من اسنى عطاياهُ
ضممتَ كنزاً ثميناً دونهُ لُهَجٌ تسيل حزناً وتُدمي القلبَ ذكراهُ
قد قدّر الله ان نبكي عليهِ فتى غضّاً فصبراً على ما قدّرَ اللهُ
يا ساهرَ العين في التاريخ دامعُها حيّى النجيب فهذا القبرُ مثواهُ (١٩٠٦)

وفي شهر تموز من تلك السنة ١٩٠٦ ادركت المنيّة اديباً آخر من اسرة فاضلة في بيروت هو ميخائيل بن جرجس عورا مولود عكّا في السنة ١٨٥٥ وخريج المدرسة البطريركية في اوّل منشإها. درس فيها العربية على الشيخ ناصيف اليازجي ثمّ سافر الى باريس متاجراً ونشر فيها جريدة الحقوق ثمّ أعقبها في مصر بمجلّة الحضارة فلم تطل حياتها بسبب الثورة العرابيّة. ثمّ عاد الى الصحافة كمنشئ ومحرّر ومُكاتب الى ان أُصيب بمرض الجأهُ الى السفر الى اوربّة انتجاعاً للعافية فمات في مدينة نابولي. ومن آثارهِ روايات مختلفة ادبيّة وقصائد قليلة. فمن قولهِ في وصف الدنيا الغرور :

تأفه ما الدنيا بدار يُبتغى فيها الثوا ويطيبُ فيها المسكنُ
كلّا ولا للدهر عهدٌ يُرتجى منهُ الوثوقُ وليس منهُ مأمنُ
والارضُ يورثها الالهُ عباده هذا يبيد وذاك عكسًا يُحسنُ
والمرء مَرْمى الموت فهو اذا نجا منهُ النهارَ ففي غدٍ لا يُمكنُ

وفي العام التالي في ٢٦ ت ١ ١٩٠٧ خسرت الدولة التركيـة والوطن السوري احد المخلصين في خدمتها المرحوم ﴿خليل الخوري﴾ المولود في الشويفات سنة ١٨٣٦ درس في مدارس طائفته وتحت ادارة بعض المعلّمين الخصوصيين. وهو اوّل من فكّر في نشر جريدة عربيّة في بلاد الشام فابرزها الى النور سنة ١٨٥٨ تحت اسم حديقـة الاخبار فصار لها بعض الرواج ونشرها على مدّة باللغتين العربية والافرنسية وساعد بذلك على نهضة البلاد الادبية. وانتدبتهُ الدولة التركيّة لخدمتها فشغل عدّة مأموريّات كمفتش للمكاتب ومدير للمطبوعات ومدير الامور الخارجيّة وهو يزاولي سيـاسة دولته التي اعربت له عن رضاها ومنحتهُ اوسمتهـا كما نال ايضاً امتيازات الـدول الاجنبيّة لحسن تصرّفه. وكان خليل الخوري احد الشعراء اللبنانيين الـذين نبغوا في اواسط القرن التاسع عشر في سوريّة تشهد لهُ مطوّلاتهُ العديدة كزهر الربى في شعر الصبا والعصر الجديد والنشائد الفؤادية والسير الامين والشاديات والنفحات. وفي شعره طلاوة ورقّة لم يعهدهما شعراء زمانه إلّا الشيخ ناصيف اليازجي معاصرهُ. وهذه بعض امثلة من نظمه. قال في وصف لبنان:

انا في رُبى لبنانَ فوق روابـي نحو الكواكب للعُلى بجذوبُ
برياضهِ حيثُ المقامُ مترّهٌ وغياضهِ حيثُ المزاج يطيبُ
أنسابُ في جوّ الهواجس حيثما كفّي الى هام النجوم طَلوبُ
اهوى بلبنانَ التوحّدَ إنّما هوَسي الى حيثُ الالهُ قريبُ
جبلٌ يُطاوِل رأسهُ جوّ السما فيلوحُ بالتعظيم وهو مهيبُ
يبدو برأس بلادنا كعصابة منها لزينة قطرنا ترتيبُ
عرشٌ الى ملكِ النُّسور أمامهُ يزهو بساطٌ بالمروج خصيبُ
قد مدّ يغسل في المياه أكفّهُ ولها برمل سهولهِ تخضيبُ
في كلّ زهر قد تصوّر شكلهُ وبكلّ اوق إسمهُ مكتوبُ

لولا مطامعُهُ الطيِّبُ لم يكن شرفٌ ولا بأسٌ ولا عذبُ

وقد استحسنَّا لهُ قولهُ في وصف اللغة العربية قدَّمها الى فتاة انكليزية قصدت الشرق لتدرس العربية :

قد رُمْتِ من لغة الأعارب مأربا فأتتكِ صادفُ منكِ فكرًا صَيِّبا
أقبلتِ نحو ديارها بتشوُّقٍ فبدَتْ بك الآدابُ تختف مرحبا
لغةٌ تُجمِّلها البلاغةُ والعلى بذكائها تَفَسُ اللغات تطيُّبا
مرَّت جامتها الدهور ولم تزلْ ترهو وترهرُ في جلابيب الصِّبا
لم تَخْشَ عاصفةً ولم تفتك بها ايدي المُصابِ اذا الزمانُ تقلَّبا
فلذاك قد سَلِمتْ وكم لغةٍ لقد شاخت فصارت مثل متنور الهبا
سمةٌ يُباجُها الفضاء وقدرةٌ تعلو على هام الكواكب مركبا
مرآةُ شعرالكون قد رَسَمتْ بها صُوَرَ العقول وكم اصابت مذهبا
فلكِ الثناء مرتَّف طيب رُلالها ولها الفخارُ بان تَطيب وتعذبا

وفي ٥ ت ١ سنة ١٩٠٧ تُوفيت السيدة شحاده بعميدها المرحوم ﴿سليم شحاده﴾ ترجمان دولة روسيا وسند سفارتها بلاورشد كسيئة ترعاهُ الله في سوق الغرب عن ٤٨ سنة قضاها بالجدِّ والنشاط وخدمة الآداب وقد اشترك سنة ١٨٧٥ مع سليم افندي الخوري لنشر معجم تاريخي وجغرافي دَعَواهُ بآثار الادهار فظهر منهُ بعض الاجزاء. وعُني بنشر ديوان الفكاهة سنة ١٨٨٥ وكتب عدَّة مقالات في مجلة المشكاة وغيرها. ومن آثارهِ لمحة تاريخيَّة في اخويَّة القبر المقدَّس اليونانيَّة والخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية وكلا ما تحت اسم مستعار كشف فيهما عن مخازي ومطامع الاكليروس اليوناني في سوريَّة وفلسطين. وكان المرحوم جمع مكتبة واسعة بينها كتبٌ نفيسة عربيَّة واجنبيَّة. ونقلنا فصولًا عن احد مخطوطات مكتبتهِ العربيَّة "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" (المشرق ١٠ [١٩٠٧]: ٩٦١ و ١٠٧٩)

ومن أدباء الروم المتوفين في السنة ١٩٠٥ في ١٣ ت ١ ﴿نخله قلفاط البيروتي﴾ وُلد سنة ١٨٥١ ودرس على اسكندر آغا ابكاريوس ثمَّ اقبل على الدروس الفقهيَّة والقوانين الدوليَّة ثمَّ زاول الكتابة فنشر عدَّة روايات في مجلَّتهِ سلسلة الفكاهات وعرَّب كثيرًا منها كبهرام شاه وفيروز شاه وألف نهار ونهار ومائة حكاية وحكاية.

ونشر ديوان ابي فراس الحمداني وحقوق الدول وتاريخ روسيا وغير ذلك مما أثار عليه خاطر ارباب الدولة التركية فنفوه الى قونية سنتين وزجوه في الحبس سنة أخرى الى ان أُخرج عنه منهوك القوى بعد النفقات الطائلة ومات مفاوجاً لما ناله من سوء المعاملة. ومن خلفته ديوان من نظمه لم يطبع. وقد نُقش على قبره هذا التاريخ :

لما هوى الموت الزؤام بنخلة ارّخها بها الاعالي تُغرَس

وفي هذه الحقبة السابقة للدستور مُنيت الكنائس الشرقية ببعض اربابها الذين ساعدوا بلادهم في تنشيط الآداب. منهم بطريرك طائفة الروم الكاثوليك ﴿ السيد بطرس الجريجيري ﴾ درس في مدرستنا في غزير ثم في مدينة بلوا في فرنسة وقد أُسند اليه تدبير الكرسي الانطاكي والاسكندري وكافة المشرق في ٢٥ شباط سنة ١٨٩٨ فلم تطل مدة بطريركته فاستأثرت رحمة الله بنفسه في ٤ نيسان سنة ١٩٠٢ وكان أدار مدةً دروس المدرسة البطريركية الكبرى في بيروت ونشر لتلامذتها كتاب التعليم المسيحي سنة ١٨٦٩ واليه يُنتسب انشاء المدرسة الاسقفية في زحلة له مناشير وخطب.

وقد أسفت الطائفة المارونية في ٤ ت ١ ١٩٠٧ على فقد حبرها المثلث الرحمات المطران ﴿ يوسف الدبس ﴾ رئيس اساقفة بيروت بعد ان أدّى لابناء ملته خدماً جليلة في أيام كهنوته واسقفيته فانشأ مع رزق الله خضرا المطبعة الكاثوليكية العمومية التي سبق لنا وصف تاريخها ومطبوعاتها النفيسة (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٠٠٠—١٠٠٣ و ١٠٣٠). وشيّد مدرسة الحكمة العامرة سنة ١٨٧٥ لتربية الناشئة وتهذيب المرشحين للكهنوت وبنى كنيسة مار جرجس الكاتدرائية على طرز كنيسة مريم الكبرى في رومية ونشر تآليف عديدة منها مدرسيّة كمربي الصغار ومرقي الكبار ومغني المتعلم عن المعلم ومعجم في العلوم الفقهية وتقسيم الميراث. ومنها دينية وطقسية كمجموع خطبه ومواعظه وكتاب الخطب البيعية ونبذة تاريخية في الفروض البيعية والناقور اليومي والشحيم الكبير ورتب توزيع الاسرار. ومنها تاريخية كسفر الاخبار في سفر الاحبار وخصوصاً تاريخ سورية في ثمانية اجزاء مع موجزه في جزئين. ومنها جدالية كروح الردود وتآليفه في المردة. وقد عرّب كتباً كثيرة كتحفة الجيل في تفسير الاناجيل وترجمة تاريخ الاوطقات للقديس الفونس ليغوري والرسوم الفلسفية للاب

يوسف دمسكي اليسوعي الى غير ذلك مما يخلد ذكره في قلوب ابنائه ومواطنيه

وفقدت طائفة الروم الاورثذكس في بيروت في ٢٠ ك٢ ١٩٠١ مطرانها السيد ﴿غفرئيل شاتيلا﴾ ولد في دمشق سنة ١٨٢٥ وتلقى الدروس في وطنه وترهب في القدس الشريف وتعين كاتباً لاسرار البطريرك ايروثاوس ورافقه الى الاستانة ثم وكل اليه رئاسة الاساقفة الانطاكي في موسكو . وفي السنة ١٨٦٩ وقع عليه الانتخاب كمطران لكرسي بيروت سنة ١٨٧٠ فعُني بفتح المدارس في ابرشيته في بيروت وقرى لبنان فأصابت ملتهُ في ايامه بعض الرقي

ورزئت بطريركية الروم في ٢٦ ك٢ بوفاة بطريركها السيد ﴿ملاتيوس الدوماني﴾ . ولد في دمشق سنة ١٨٣٧ وتخرج في المدارس الوطنية ثم لبس الاسكيم الرهباني سنة ١٨٥٧ وصحب الى الاستانة البطريرك الانطاكي ايروثاوس ولما ترملت سنة ١٨٦٥ ابرشية اللاذقية دُعي الى رعايتها فعُني بانشاء مدرسة لابناء طائفته . وفي السنة ١٨٩١ بعد استقالة البطريرك اليوناني اسيريديون انتُخب بطريركاً واستقل به كرسي انطاكية عن الخضوع لبطريرك الاستانة . ومما يعود فيه الفضل لتعزيز الآداب تجديد مدرسة البلمند وانشاء مكتبة جمعت نحو ١٠٠٠ كتاب والعناية بمطبعة الدار البطريركية وعُني بتهذيب النشيبة من طائفته وعقد الجمعيات الخيرية

وأسف الاقباط على فقدان احد رهبانهم في اوائل القرن العشرين ﴿الايغومانس فيلوثاوس﴾ اشتهر بنشر تاريخ توابع الاقباط الذين كان لهم الفضل في النهضة والاصلاح

هذا ما عرفناهُ من أدباء النصارى في السنين السابقة للدستور العثماني . ولا يبعد ان يكون فاتنا قسمٌ منهم لاسيما الذين برعوا في اميركة لقلة ما كان يبلغنا من اخبارهم

(لهُ صلة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

رحلة ابن بطلان الى الشام (تتمة)

هذه الرحلة صنّفها ابن بطلان على صورة رسالة كتبها ووجّهها الى بغداد الى ابي الحسن هلال بن الحسن الصابي (١ سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٩م) رواها ياقوت قطعاً متفرّقة في معجم البلدان وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء

وكانت احوال الشام في تلك السنين مضطربة وكثرت فيها الحروب. كان الخليفة في بغداد القائم بامر الله وكانت مصر تحت حكم المستنصر بالله العلوي. وكان يتلك على حلب معزّ الدولة ثمال بن صالح بن مرداس صاحب الرحبة سابقاً. امّا انطاكية فكان استولى عليها الروم سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣م) في عهد نيقيفورس فوكاس فبقيت في يدهم الى السنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤م) فدخلها ابن بطلان في ايام حكم الروم عليها :

﴿المقدّمة﴾ بسم الله الرحمن الرحيم أنا لما اعتقدهُ من خدمة سيّدنا السيد الاجلّ اطال الله بقاءهُ وكبتَ اعداءهُ دانياً وقاصياً وافترضهُ من طاعته مقيماً وظاعناً، أضمرتُ عند وداعي حضرتهُ العالية وقد ودّعتُ منها الفضل والسؤدد والمجد والفخر والمَحتِد أن اتقرّب اليها وأجدّد ذكري عندها بالمطالعة عمّا أستطرفهُ من اخبار البلاد التي أطرُقها واستغربها من غرائب الاصقاع التي أسلكها خدمةً للكتّاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر، وديوان المعالي والمآثر، ليودعهُ ادام الله تمكينهُ منها ما يراهُ ويلحق ما يستزيدهُ ويرضاهُ وعليَّ ذكرهُ. فما رأيتُ احداً بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيهِ وكل رئيس في هذه الديار متشوّق اليهِ ولوصوله مترقّب متوقّع. ولو

---

١) وروى ياقوت (٣:٢٠٦) انهُ كتبها الى هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي في دولة بني مرداس وهلال هذا من مشاهير الكتاب توفي سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م)

وصلت منهُ نسخة ابلغ الجالبُ لها أُمنيّتهُ في رِبحها ونَفعها. والى الله تعالى ارغب في نشر فضيلتهِ الباهرة ومحاسنهِ الزاهرة بجودهِ

﴿من بغداد الى حلب﴾ كنتُ خرجتُ من بغداد وبدأتُ بلقاء مشايخ البلاد وخواصّها واستملاء ما عندهم من آثارها وعجائبها. فذُكر لي اخبار مستطرفة وغرائب عجيبة وعجائب غريبة وانواع من الشعر (١ رائقة . ولضيق اوقت وسُرعة الرسول اضربت عن اكثرهِ واختصرتُ على أقلّه. وكنتُ خرجتُ على اسم الله وبركتهِ مستهلّ شهر رمضان سنة اربعين واربعمائة (ك ٢ ١٠٤٩) مُصعدًا في نهر عيسى (٢ على الانبار. ووصلتُ الى الرَّحبة (٣ بعد تسع عشرة مرحلة وهي مدينة طيّبة وفيها من انواع الفواكهِ ما لا يُحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الأعناب وهي متوسّطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة ايّام . وهذا القصر (٤ حصنٌ دون دار الخلافة ببغداد مبنيّ بالحجارة وفيهِ بيعة عظيمة (٥ ظاهرُها بالفصّ المذهّب (٥ انشأها قسطنطين بن هيلانة وجدّد الرَّصافة وسكنها هشام بن عبد الملك وكان يُفرَع (يفزع اليها من البقّ في شاطئ الفرات. وتحت البيعة (٦ صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة معقود على اساطين الرخام مبلّط بالمرمر مملوء من ماء المطر . وسكّان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى ومعاشهم تخفير القوافل وجَلب المتاع والصعاليك مع اللصوص. وهذا القصر في وسط برّية مستوية السطح لا يردّ البصر من جوانبها إلّا الافق .

﴿حلب﴾ ورحلنا منها الى حلب (٧ في اربع رحالات وهي بلدٌ مسوَّر بالحجر

---

١) ويروى : اقطاع من الشعر .

٢) نهر عيسى احد الانهار المشقّة من الفرات

٣) الرحبة هي المدينة المعروفة برحبة مالك بن طوق على شطّ الفرات

٤) ما وُضع بين هلالين ورد في معجم البلدان لياقوت (٣ : ٧٨٥) ولم يروهِ جلال الدين القفطي

٥) الفصّ المذهب هو المعروف بالفسيفساء (mosaïque)

٦) كانت في الرصافة بيعة للقديس سرجيوس الذي استشهد هناك مع القديس بَخُوس وكان العرب يعظّمونها وذكرها الاخطل في شعرهِ

٧) هذا الوصف ذكرهُ ايضاً ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٠٦)

الابيض فيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي احداهما كان المذبح الذي يقرّب عليه ابراهيم عم . وفي اسفل المقارة كان يخبأ فيها غنمهُ واذا حلبها اطاف الناس بلبنها فكانوا يقولون : « حَلَبَ ام لا » ويسأل بعضهم بعضاً عن ذلك فسُمّيت حلب (١ . وفي البلد جامع وستُّ بِيَع وبيمارستان صغير والفقهاء يُفتون على مذهب الإمامية . وشربُ اهل البلد من صهاريج مملوءة بماء المطر . وعلى بابهِ نهرٌ يُعرف بقُوَيق يَمُدُّ في الشتاء وينضبُ في الصيف . وفي وسط البلد دار عُلوَةَ صاحبة البحتري (٢ وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ إلا ما يأتيه من بلاد الروم (٣ . « ومن عجائب حلب انَّ في قيسارية البزّ عشرين دكاناً لوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدرهُ عشرون الف دينار . مستمرٌّ ذلك منذ عشرين سنة والى الآن . وما في حلب موضع خراب اصلًا »

﴿انطاكية﴾ وخرجنا من حلب طالبين انطاكية بينها يوم وليلة فبتنا في بلدة للروم تُعرف بعِمّ فيها عين جارية يُصاد فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها من الخنازير (٤ ومباح النساء والخمور امرٌ عظيم وفيها اربع كنائس وجامع يؤذَّن فيه سرًّا . والمسافة التي بين حلب وانطاكية عامرة لا خراب فيها اصلًا ولكنها ارض زرع للحنطة والشعير تحت شجر الزيتون (٥ قراها متصلة ورياضها مزهرة ومياهها متفجرة يقطعها المسافر في بالٍ رخيّ وأمن وسكون . وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل وللسور ثمانية وستون برجاً يطوف عليها بالنوبة اربعة آلاف حارس يُنتقَدون من القسطنطينية من حضرة الملك فيضمنون حراسة البلد سنةً ويُستبدَل بهم في الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قُطرها يتّصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قُلّته ويستتمّ دائرة (٦ . وفي رأس الجبل داخلَ السور قلعةٌ تبينُ لبعدها من البلد

---

١) هذه رواية ضعيفة فانَّ اسم حلب ورد في الآثار الاشورية قبل عهد ابراهيم الخليل

٢) هي علوة بنت زُرعة الحلبيّة كان البحتري يشبّب بها

٣) هذا ما ذكرهُ القفطي لابن بطلان عن حلب وزاد عليه ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٠٧) ذكر بعض شعراء وجدهم في حلب وختم بها وضمناهُ بينَ هلالين

٤) روى ياقوت (٣ : ٧٢٩) : « مشاربر الخنازير

٥) روى القفطي : بجنب شجر الزيتون

٦) روى ياقوت : فتتمّ دائرة

صغيرة . وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها الّا في الساعة الثانية . والسور المحيط بها دون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها بيعة القسيان (١ . وكانت دار قسيان للملك الذي احيا ولدهُ بطرس رئيس الحواريين (٢ وهو هيكل طولهُ مائة خطوة وعرضهُ ثمانون وعليهِ كنيسة على أساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة للحكومة ومعلّمو (٣ النحو واللغة . وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فنجان (٤ الساعات يعمل ليلًا ونهارًا دائمًا اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا . وفي أعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمّامات وبساتين ومقاصير حسنة (٥ تخرُّ منها المياه وعلّة ذلك انَّ الماء ينزل عليها من الجبل المطلّ على المدينة

وهناك من الكنائس ما لا يُحدّ كثرةً كلُّها معمولة بالفضّ (بالفِصّ) المذهب (٦ والزجاج الملوَّن والبلاط المجزَّع . وفي البلد بيمارستان يراعي البطريرك المرضى فيهِ بنفسهِ» ويدخل المجذَّمين الحمّامَ في كل سنةٍ فيغسل شعورهم . ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء كل سنةٍ ويعينهُ على خدمتهم الاجلّاء من الرؤساء والبطارقة التماس التواضع (٧ . « وفي المدينة من الحمّامات ما لا يوجد مثلهُ في مدينةٍ اخرى لزيادةٍ وطيبهِ » لان وَقودها من الآس وما شاكلها تسعى سَيْحاً بلا كلفة »

« وفي بيعة القُسيان (٨ من الخدم المترزقة ما لا يُحصى . ولها ديوان لدخل الكنيسة وخرجها . وفي الديوان بضعة عشر كاتباً . ومنذ سنةٍ وكسر وقعت في الكنيسة صاعقة وكانت حالُها عجيبة . وذلك انهُ تكاثرت الامطار في آخر سنة

---

١) روى القفطي : قلعة القسياني

٢) ورد في بعض التقاليد القديمة انَّ القديس بطرس الرسول لمَّا دخل انطاكية وجد ولد واليها الروماني ميتًا فاحياهُ وعمّد الوالد والولد ونشر النصرانية في انطاكية واعطاهُ الحاكم قصرهُ فجعلهُ كنيسة عُرفت ببيعة القُسيان

٣) روى ياقوت : متعلّمو

٤) فِنجان كلمة فارسيّة تعريب بنكان وهي الساعة الزوالية (clépsydre) ويقال في العربيّة ايضًا بنكام

٥) روى ياقوت : مناظر حسنة

٦) روى ياقوت : بالذهب والفضّة

٧) ما جلاهُ بين هلالين رواهُ ياقوت وحدهُ (١ : ٣٨٢)

٨) كل هذه القطعة بين الهلالين التي تتضمَّن وصف الزلزلة التي حدثت في انطاكية لم يذكرها جلال الدين القفطي واتمّا دوَّنها ياقوت (١ : ٣٨٢-٣٨٤)

١٣٦٢ للاسكندر الواقع في سنة ٤٤٢ للهجرة وتواصلت اكثر أيام نيسان . وحدث في الليلة التي صبيحتُها يوم السبت الثالث عشر من نيسان رعدٌ وبرقٌ اكثر مما أُلف وعُهد وسُمع في جملته اصوات رعدٍ كثيرة مَهولة ازعجتِ النفوس ووقعت في الحال صاعقةٌ على صدَفةٍ مخبيَّة في المذبح الذي للقُسيان فثلقت من وجه النَّصرانيَّة (كذا) قطعةً تشاكل ما قد نُحت بالناس والحديد الذي تُنحت بهِ الحجارة وسقط صليبٌ حديد كان منصوباً على علوّ هذه الصَدَفة وبقي في المكان الذي سقط فيهِ . وانقطع من الصَّدَفة ايضاً قطعة يسيرة . ونزلت الصاعقة من منفذٍ في الصدَفة وتُنزّل فيهِ الى المذبح سلسلة فضَّة غليظة يُعلَّق فيها الثيموطون (كذا) وسعة هذا المنفذ اصبعان فتقطَّعت السلسلة قطعاً كثيرة وانسبك بعضها ووُجد ما انسبك منها ملقًى على وجه الارض . وسقط تاج فضةٍ كان معلَّقاً بين يدي مائدة المذبح وكان من وراء المائدة في غربيّها ثلث كراسي خشبيَّة مربَّعة مرتفعة يُنصب عليها ثلثة صلبان كبار فضَّة مذهَّبة مرصَّعة وقُلع قبل تلك الليلة الصليبان الطرَفيان وتَشظَّيا وتطايرت الشظايا الى داخل المذبح وخارجهِ من غير ان يظهر فيها اثر حريق كما ظهر في السلسلة ولم يَنل الكرسيَّ الوسطانيَّ ولا الصليبَ الذي عليهِ شيء . وكان على كل واحد من الاعمدة الاربعة الرخام التي تحمل القبة الفضة التي تغطي مائدة المذبح ثوبُ ديباج ملفوف على كل عمود فتقطَّع كل واحد منها قطعاً كباراً وصغاراً . وكانت هذه القطع بمنزلة ما قد عُفِنَ وتهرَّأ ولا يُشبه ما قد لامستهُ نار ولا ما احترق ولم يلحق المائدة ولا شيئاً من هذه الملابس التي عليها ضررٌ ولا بان فيها اثرٌ . وانقطع بعضُ الرخام الذي بين يدي مائدة المذبح مع ما تحتهُ من الكلس والنورة كقطع الفاس . ومن جملتهِ لوح رخام كبير طفرَ من موضعهِ فتكسَّر الى علوّ تربيع القبة الفضَّة التي تغطي المائدة وبقيت هناك على حالهِ وتطافرَ بقيَّة الرخام الى ما قرُب من المواضع وبَعُد . وكان في المجنَّبة التي للمذبح بَكرة خشب فيها حبل قُنَّب مجاور السلسلة الفضَّة التي تقطَّعت وانسبك بعضها معلَّقٌ فيها طبقُ فضة كبير عليهِ فراخ قناديل زجاج بقي على حالهِ ولم ينطفئ شيء من قناديلهِ ولا غيرها ولا شمعة كانت قريبة من الكرسيّين الخشب ولا زال منها شيءٌ . وكان جملة هذا الحادث مما يُعجب منهُ وشاهد غير واحد في داخل انطاكية وخارجها في ليلة الاثنين الخامس من شهر آب من السنة المقدَّم ذكرها في السماء شبه

كُرَةٍ ينورُ منها نورٌ ساطعٌ لامع ثم انطفأ واصبح الناس يتحدثون بذلك. وتوالت الاخبار بعد ذلك بانهُ كان في اوّل نهار الاثنين في مدينة غُنجُرة وهي داخل بلاد الروم على ١٩ يوماً من انطاكية زلزلة مهولة تتابعَتْ في ذلك اليوم وسقط منها ابنيةٌ كثيرة وخُسفَ موضعٌ في ظاهرها. وكان هناك كنيسة كبيرة وحصنٌ لطيف غابا حتى لم يبقَ لهما اثر ونبَع من ذلك الخَسف ماء حارٌ شديد الحرارة كثير المَنبَع المتدفق وغرق منهُ سبعون ضيعة. وتهارب خلقٌ كثير من تلك الضياع الى رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة العالية فسلموا. وبقي ذلك الماء على وجه الارض سبعة أيّام وانبسط حول هذه المدينة مسافة يومين ثمّ نَضبَ وصار موضعهُ وحلًا. وحضر جماعة ممّن شاهد هذه الحال فحدّثوا بها اهل انطاكية على ما سطّرتُهُ وحكوا انّ الناس كانوا يُصعدون امتعتهم الى رأس الجبل فيضطرب من عظم الزلزلة فيتدحرج المتاع الى الارض»

وظاهر البلد نهرٌ يُعرف بالمقلوب(١ يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وعليهِ رحى ويسقي البساتين والاراضي. وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يُضاف فيها المُجتازون يقال انّ دَخلَهُ في السنة اربعة آلاف دينار(٢. ومنهُ يُصعد الى جبل السكّام وفي هذا الجبل من الديرات والصوامع والبساتين والمياه المتفجرة والانهار الجارية والزهّاد والسيّاح وضرب النواقيس في الاسحار وألحان الصلوات ما يتصوّر معهُ الانسان انهُ في الجنة. وفي انطاكية شيخ يُعرف بابي نصر ابن العطار قاضي القُضاة فيها لهُ يدٌ في العلوم مليح الحديث والإفهام

وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانيّة(٣ لها مينا وملعب وميدان للخيل مدوّر. وبها بيتٌ كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اوّل الاسلام مسجداً وهي راكبة البحر وفيها قاضي للمسلمين وجامع يصلّون فيهِ واذان في اوقات الصلوات الخمس. وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس. وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم... ومن البلد من الجبال والزهّاد في الصوامع والجبال كلٌ فاضل يضيقُ الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم

١) يريد نهر العاصي او نهر اورُنط ٢) وجاء في ياقوت(٣ : ٦٧٣) : ولهُ من الارتفاع كل سنة عدّة قناطير من الذهب والفضّة ٣) كانت اللاذقيّة وقتئذٍ في ايدي الروم

١٢ ابو تمّام الطائيّ

﴿ توطئة ﴾ قرأنا في آخر عدد من المقتطف (اغسطس ١٩٢٥ ص ٣٣٤) ما نصّهُ :

«عندنا نسخة الدكتور فان ديك في شرح البريزي للحماسة وعليها بخط الدكتور انّ ابا تمّام كان نصرانيًّا . فن اين اتى الدكتور فان ديك بذلك والمتعارف انّ أبا ابي تمّام كان نصرانيًّا»

فاحببنا ان نفرد هنا فصلًا لهذا الشاعر في كلامنا عن شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العبّاسيّة . فننظر ما في مدّعى الدكتور فان ديك من الصحة

﴿ نسب ابي تمام ﴾ هو حبيب بن اوس الطائي ينتهي نسبهُ الى ابي القبيلة الغوث ابن طيّ ومنهُ الى يعرب بن قحطان . يُكنّى بابي تمّام وتمّام ابنهُ ورد ذكرهُ في تعريف بعض امور ابيهِ في الاغاني وغيرهِ . وُلد حبيب في جاسم وهي على ما قال المسعودي في مروجهِ الذهبيّة (٧ : ١١٧) « قرية من اعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالحولان (بالجولان) على اميال من الجابية وبلاد نوا (كذا) وهي مراعي أيوب عم » . امّا صاحب الاغاني فقال (١٥ : ١٠٠) « هو من نفس طيّ صليبة مولدهُ ومنشأهُ بناحية منبج (كذا) بقرية منها يقال لها جاسم» وكان مولدهُ على قول تمّام ابنهِ سنة ١٨٨ هـ (٨٠٤م) ووفاتهُ سنة ٢٣١ (٨٤٥ م) امّا الشائع بين الكتبة والمؤرخين كنفطويهِ والطبري وابن الاثير انّ وفاته كانت في الموصل وقعت سنة ٢٢٨ (٨٤٢—٨٤٣م) . وروى ابن خلّكان في وفات الاعيان (١ : ١٥٠) عن ابي القاسم الآمدي في الموازنة قولهُ : « والذي عند اكثر النّاس في نسب ابي تمام انّ اباهُ كان نصرانيًّا من اهل جاسم قرية من قرى دمشق يقال لهُ تدوس (ولعلها تدّاوس او تدرُس) العطّار فجعلوهُ أوسًا وقد لُفّقت لهُ نسبة الى طيّ » . لكنّ ابن خلّكان لم يصدّق على قول الآمدي ولم يذكر نسبتهُ الى طيّ وانّما نقل قول الصولي : « قال قوم ان ابا تمّام هو حبيب بن تدوس النصراني فغيّر فصار اوسًا ثمّ روى عن ابيهِ انهُ كان حمّارًا بدمشق »

﴿ خلاصة اخبار ابي تمام ﴾ قال الانباري في طبقات الادباء (ص ٢١٣) : « ابو تمام شامي الاصل» وروى ابن خلكان ١ : ١٥٣) : « انهُ كان يخدم حائكًا ويعمل

عنده بدمشق ». قال : « ونشأ بمصر قيل انهُ كان يسقي الماء في جامع مصر » وزاد الانباري : « وجالس الادباء فاخذ عنهم وتعلّم وكان فطناً فهماً وكان يحبُّ الشعر فلم يزل يعانيهِ حتى قال الشعر وأجادهُ وسار شعرهُ وشاع ذكرهُ » . وقد تنقّل ابو تمام في انحاء الشام وسكن مدّة حمص فلم يحمد اهلها (اطلب ديوانهُ ص ٢٣٨ طبعة محيي الدين الخياط) ورحل الى العراق : قال الانباري (ص ٢١٤) : « وبلغ الخليفة المعتصم خبرهُ فحملهُ اليهِ فعمل فيهِ ابو تمام قصائد عدّة واجازهُ المعتصم وقدّمهُ على شعراء وقتهِ » ولمّا قدم الى بغداد جالس فيها الادباء وعاشر العلماء وكان موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس ثمّ مدح الخليفة هارون الواثق خلف المعتصم وسافر في اوّل ايّامهِ الى سامرّا ورحل الى خراسان وارمينية والجزيرة فمدح كبار عمّال الدولة واعيانها كمالك بن طوق التغلبي وابي دلف واحمد بن ابي دوّاد وعبدالله بن طاهر وخالد ابن يزيد بن مزيد والوزيران محمّد بن الزيّات والحسن بن وهب . فعُني بهِ الحسن وولّاهُ بريد الموصل فاقام بها اقلّ من سنتين ومات ولم يتفقوا على سنة وفاتهِ . قال البحتري : « وبنى عليه ابو نهشل بن حميد الطوسي قبّة . (قلتُ) ورأيت قبرهُ بالموصل خارج باب الميدان على حافّة الخندق والعامّة تقول : هذا قبر ابي تمام الشاعر » (راجع ابن خلكان)

﴿دين ابي تمام﴾ رأيت انّ الدكتور ڤان ديك أعلن في نسخة من حماسة ابي تمام انّ « أبا تمام كان نصرانيًّا » وفي قولهِ هذا نظر :

﴿اوّلاً﴾ اتّفق من ذكر والد ابي تمام كالصولي والآمدي انهُ كان نصرانيًّا فلا بُدَّ انَّ ابنهُ حبيباً ولد ونشأ على دينهِ ومن هذا القبيل يجوز القول انَّ أبا تمام كان نصرانيًّا

﴿ثانياً﴾ لنا في اسمهِ حبيب وهو من الاسامي الشائعة بين النصارى النادرة بين المسلمين ما يدلُّ على نصرانيّته

﴿ثالثاً﴾ وليس في نسبتهِ الى طيّ ما ينفي نصرانيّتهُ فقد اثبتنا في كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص ١٢١—١٢٢ و١٣٢—١٣٣ و٤٥٦—٤٥٧) شيوع النصرانيّة في قبيلة طيّ وثبات قسم كبير من بطونها على نصرانيّتهم حتى بعد الاسلام بزمن طويل

﴿رابعاً﴾ وفي مزاولته في حداثته الحياكة والسقاية ما يدلّ على خموله بسبب دينه

﴿خامساً﴾ ثم ليس لنا كلام صريح لاحد رواة ترجمته ما يدلُّ على جحود دينه النصرانيّ

هذا ما يحملنا على القول بنصرانيّة ابي تمام. على انّ في ديوانه عدّة ابيات تشعر بانه يدين بالاسلام فحيناً يحلف بالبيت الحرام ويقول انهُ حجّ اليه وحيناً آخر يذكر نبي العرب ودين الاسلام كانهما نبيُّهُ ودينهُ واذا ذكر الروم نبذهم بالشرك والكفر ويعظّم القرآن. وهذا كلُّهُ لمّا يثبت اسلامهُ

فلا نرى تطبيقاً بين الامرين إلّا ان نقول انهُ لما اصاب حظوةً عند الخلفاء وعند وجوه الامراء وكبار الدولة عدل عن دينه الى الاسلام مجاملةً او طمعاً بحطام الدنيا. وليس قولنا هذه حدساً وقد أخذ العجب جنابَ خليل مردم بك في كتابه الحديث «شعراء الشام في القرن الثالث (ص٣٥—٣٧) حيث قابل بين مديح ابي تمّام للخلفاء من اهل السنة واطرائهِ للشيعة العلويّة وانتصاره لحقوقها في الخلافة فرأى تناقضاً بيّناً نسبهُ الى اختلاف الزمان

أمّا المسعودي في مروج الذهب فنسب أبا تمّام الى المجون وقلّة الدين قال (٧: ١٥١):

«وكان (اي ابو تمام) ماجناً خليعاً في بعض احواله ورثّما ادّاهُ ذلك الى ترك موجبات فرضهِ تماجناً لا اعتقاداً (!)»

ثم روى لبعض الثقات عن المبرّد النحوي نقلاً عن الحسن بن رجاء قال:

«صار اليَّ ابو تمام وانا بفارس فاقام عندي مقاماً طويلاً ونُسيَ اليَّ من غير وجه انهُ لا يصلّي. فوكلتُ بهِ من يراعيهِ ويتفقدهُ في اوقات الصلوات فوجدتُ الامر على ما اتّصل بي فعاتبتهُ على فعلهِ. فكان من جوابهِ أن قال: أتُراني انشطُ للشخوص اليك من مدينة السلام وانجشّم هذه الطرقات الشاقّة واكسلُ عن هذه الركعات لا موزونة عليَّ فيها لو كنتُ اعلم انَّ ان صلّاها ثواباً وعلى من تركها عقاباً؟ (قال) وهممتُ والله بقتلهِ ثمّ تخوّفت ان يُصرَف الامر الى غير جهتهِ. قال المبرّد: وهو مع هذا يقول:

وأحقُّ الانام أن يَقضيَ الدَّين م امروء كان للاله غريمَا

وهذا قولٌ مباين لهذا الفعل»

فترى انّ اسلام ابي تمام كان سطحيّاً ليس تماجناً فقط كما قال المسعودي بل اعتقاداً

ايضاً فذكرناهُ هنا بين شعراء النصرانية ليس افتخاراً بدينهِ بل بياناً لحقيقة تاريخيَّة . ثمَّ انَّ في شعرهِ ابياتاً تنبئ بمعرفتهِ لعادات النصارى كقولهِ في هرب توفيل زعيم الروم (الديوان ٣٣ : ٢) :

جنا الشرقَ حتى ظنَّ من كان جاهلاً بدين النصارى ان قِبلَتَهُ الغَرْبُ

﴿منزلتهُ بين شعراء عصره﴾ لا نطيل الكلام في هذا الموضوع بعد ان طرقهُ قبلنا ائمَّة الكتَّاب وخصوصاً ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (١٥ : ٩٩—١٠٨) فاعتبر ابا تمَّام «كامير الشعراء وخاتمهم مَن لا يشقّ الطاعنون عليه غبارهُ ولا يدركون وان جدُّوا آثارهُ» وفيه قال الحسن بن وهب يرثيه :

فُجِعَ القريضُ بخاتم الشعراء وغديرُ روضتها حبيب الطائي
ماتا معاً وتجاورا في حفرةٍ وكذاك كانا قبلُ في الاحياء

ورثاهُ محمَّد بن عبدالملك الزيَّات وهو حينئذٍ وزير فقال :

نبِّأْنَ من اعظم الانباء لمَّا أَلَمَّ مُقَلْقِلَ الأحشاء
قالوا حبيبٌ قد ثوى وأجبتهم نامت نواطرهُ لا نامت اعينُ الطائي

ولا نشاء ان نروي شيئاً من شعرهِ وهو لهُ في ايدي الجميع وقد تكرَّر طبعهُ : فطُبع اوَّلاً في مصر سنة ١٢٩٢ هـ طبعة سقيمة بلا شكل وبشروح قليلة على اهامش ثمَّ عُني بطبعهِ في بيروت الاديب شاهين عطيه اللبناني سنة ١٨٨٩ ثمَّ كرَّر طبعهُ محمد جمال مع شروح لمحيي الدين الخيَّاط . وهاتان الطبعتان مع فضلهما على الطبعة المصريَّة إلا انهما قاصرتان عن كل ما يطلبهُ العلماء من الضبط بالشكل الكامل وتعريف النسخ المنقول عنها الديوان وشرح المعاني وبيان ظروف القصائد واثبات الروايات المختلفة وجمع ما جاء متفرقاً من شعر ابي تمام في كتب الادباء . فانك ترى مثلاً في ما رواهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني عدَّة مقاطيع من شعر ابي تمام لم تُرَ في الديوان وكذلك هناك وفي الكامل للمبرِّد وغيرهما قطعٌ اخرى فيها روايات مخالفة لروايات الدواوين المطبوعة وبعضها افضل من المطبوع . فيا ليت احداً من ادبائنا يَسُدُّ هذه الثُّلم ويستفيد من ملحوظات ابي القاسم محمَّد الآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري فيُعنى بطبعةٍ جديدة وافية الشروط لذلك الديوان الفريد والاثر الجليل

(لهُ بقيَّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الرابع

رجوع الصليبيين الى ملك بيروت

ثمَّ مات صلاح الدين في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ (٧ آذار ١١٩٣) وكان الصلح قد استقرَّ بين المسلمين والفرنج في اواخر أيامهِ. قال ابن الاثير في تاريخ السنة ٥٩٣ (١١٩٧ م) :

«فلمَّا توفي (صلاح الدين) وملك اولادهُ مدَّهُ جدَّد الملك العزيز الهدنة مع الكُندهري (١ وزاد في مدَّة الهدنة وبقي ذلك الى الآن (اي السنة ٥٩٣). وكان بمدينة بيروت امير يُعرَف بأسامة وهو مُقطَعُها فكان يرسل السَّوافي فتقطع الطريق على الفرنج. فاشتكى الفرنج من ذلك غير مرَّة الى الملك العادل (اخي صلاح الدين) والى الملك العزيز (ابنهِ) بمصر فلم ينتهِ اسامة من ذلك. فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون: ان لم تُنجدونا والَّا اخذ المسلمون البلاد. فأمدَّهم الفرنج بالعساكر الكثيرة. . . ووصل الخبر المسلمين بان الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر في ذي القعدة (ايلول ١١٩٧) الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت. فسار اليها جمعٌ من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذي الحجَّة (٢١ ت ١) وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة فلمَّا رآهم اسامة من ذلك وتكدَّل بحفظها. ورحل الفرنج من عكَّا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا هم والفرنج بنواحي صيداء وجرى بينهم مناوشة فقُتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل. وسار الفرنج تاسع ذي الحجة (٢٣ ت ١) فوصلوا الى بيروت. فلمَّا قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معهُ من المسلمين فملكوها صفوًا عفوًا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة»

وكان الذي استولى على بيروت الملك أموري بمساعدة الالمانيين. وفي تواريخ الفرنج ان الملك العادل سيف الدين جُرح في واقعة صيدا فقصد بيروت ليتحصَّن فيها الَّا ان بعض الاسرى الذين كانوا في قلعتها عاينوا اسطولًا للنصارى مجتازًا امام المدينة

(١ هو الكُندهري وبالعربية اخو الملك الانكليز ريشرد قلب الاسد وناشبهُ بالسلطان

فاشاروا اليهم وتمكن الاسرى من قتل الحرس وفتحوا ابواب الحصن للفرنج فدخلوه. وفي اليوم التالي جاء عسكر البرّ من جهة صيدا فدخلوا المدينة في ٢٥ ت ١ سنة ١١٩٧ واطلقوا سبيل ١٤،٠٠٠ من الفرنج كانوا فيها

ثمّ توالت الحروب بين المسلمين والفرنج نحو سنة كاملة فكان الملك العادل والملك العزيز دائبين على محاربة الصليبيين الى ان اضطرّ الملك العزيز الى الذهاب الى مصر لتأييد سلطانه فيها. فتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج حتى اصطلحوا على ان تبقى بيروت بيدهم. وكان الصلح في شعبان سنة ٥٩٤ (حزيران ١١٩٨) كما افاد ابن الاثير في تاريخه الكامل

البحث الخامس

بيروت وامراؤها الفرنج من أسرة ديبلين

ثمّ اراد الملك اموري ان يتفرّغ لامور مملكته فتنازل عن حكمها لاحد امراء دولته المدعو كونراد دي مونفرّا (Conrad de Monferrat) وكان لامرأته ايزابلّا ملكة اورشليم سابقاً شقيقٌ ذو خصال فريدة في النجابة والشهامة وحسن السياسة يُدعى جان ديبلين (Jean d'Ibelin). وكان من اسرة شريفة عريقة في المجد تفوّقت على سواها في الحروب الصليبيّة فعُهد الى ذويها اجلّ المناصب وقُلّدوا الامارة على عدّة مدن كيافا وارسوف ورملة ونابلس. وكان ابوهُ يدعى باليان (Balian) من فرسان الفرنج استولى على يُبْنَى وهي بلدة جنوبيّ يافا تبعد عنها مرحلةً في وسط الطريق بين لُدّ واشدود وهي اليوم خراب وكان الفرنج يدعونها إبلين او ابلين فاليها نُسب باليان دِبْلين (Balian d'Ibelin)

وكان ابنهُ جان من فرسان العصر المتازين بفضلهم وجميل صفاتهم خلّف اباهُ في ارثه فعُرف باسم جان ديبلين وقلّدهُ الملك رتبة كندُسطيبل (Connétable) لمملكة اورشليم. فلمّا انتدبهُ كونراد دي مونفرّا الى امرة بيروت تخلّى عن رتبته ليتفرّغ لشؤون منصبه الجديد

وكان اوّل ما فكّر فيه عند توليته على بيروت انهُ باشر في تحصينها فاقام اسوارها ودعّمها بالابراج ورمّم حصنها فصارت من احرز مدن سواحل الشام وأمنعها في وجه العدوّ. ولم يجتزئ بذلك بل فتح لها المدارس فراجت فيها سوق الآداب وزيّنها

بالمعاهد الفخمة ونشّط ارباب الحرف والصنائع ووسّع نُطق التجارة واستدعى الى ثغر بيروت اهل البندقيّة والتاجرين من الجنويّين والبيزان فكانت سفنهم تقدم الى بيروت ناقلةً اليها مرافق الفرنج وتنقل منها الى انحاء الغرب محصولات الشام

وبقي جان ديبلين في امرته خمساً وثلثين سنةً ساس بيروت في مدّتها بحكمة نادرة ودافع عنها دفاع الابطال واشتهر ببلاغة لسانه كما نصّ عليه صاحب كتاب الدستور الاورشليمي (Assises de Jérusalem) حتى ذاع صيتهُ في الشرق والغرب. وكان لا يقع امرٌ ولا يجري حادث في الشام وقبرس وفلسطين إلّا وله فيه نصيب كبير. وكان احد مستشاري دولة الفرنج في تدبير امور مملكتهم الشرقيّة. وورث من اهله مدينة يافا وكانت زوجتهُ ابنة صاحب أرسوف فلمّا مات حموه صار هذا الحصن في حوزته. فطمع فيه ذوو المطامع وحاولوا غير مرّة ان ينتزعوهُ من يده وساروا الى محاربته. فتصدّى لهم جان ديبلين وردّ غاراتهم حتى أيسوا من فتح الحصن

وكان لجان ديبلين اخٌ يدعى فيلبس تعيّن وليًّا للملك هنري دي لوزنيان ملك قبرس قبل بلوغه فمات في تلك الاثناء. فخلفهُ جان في نيابته. ومن مآثره في اثناء تدبيره لتلك المملكة انهُ قام في وجه الملك فردريك الثاني عدوّ الكرسي الرسولي والمحروم من الحبر الاعظم غريغوريوس التاسع لمّا قصد الاراضي المقدّسة مع جيش من اللمبرديين فحالف الملكَ الكامل سلطان مصر ووعدهُ بمحاربة الملك المعظم صاحب دمشق فاعطاه الملكُ الكامل مدينةَ القدس وبيت لحم وفتح فردريك بعض المدن التي في ايدي الصليبيين واستولى على قبرس فحاربهُ الصليبيون. وكان جان ديبلين احد زعماء الفرنج الذين سعوا الى كبح جماحه وردّ غارات اللمبرديين فنالهُ منهم اذًى وافر لكنهُ لم يزل يناوشهم القتال ويدافع عن الملك وعن مدينة بيروت الى ان فاز بالنصر في مدينتَي اغريدي وسيرين من اعمال قبرس وكسر شوكتهم سنة ١٢٣٣ فرجعوا الى ايطالية خاسرين. فخوّل هذا الانتصار مجدًا جديدًا جان ديبلين الذي بفضله ثبت على عرش قبرس ملكها الشرعي وتمتّعت بيروت بحصانتها من معرّة اعدائه

كانت وفاة جان ديبلين سنة ١٢٣٦ في عكا قطّرهُ فرسهُ فمات بعد ان اوصى بالامرة لابنته البكر وهو باليان الثالث وولّى على ارسوف ابنهُ الاصغر جان سيّئ. وقد جرى باليان على آثار ابيه فاجتمع مع امراء الفرنج لمحاربة من بقي في صور من

حزب الالمان في شهر تموز سنة ١٢٤٣ فابادَ ذكرهم . وقد اختارهُ الامراء كُنْدُسطبلًا لمملكة قبرس . وكان باليان الثالث رجلًا عاقلًا واسع الادب دمث الاخلاق

وخلفه بكره جان الثاني المعروف بالصغير نحو سنة ١٢٥٣ فتوفي سنة ١٢٦١ فصارت إمرة بيروت الى ابنتهِ الكبرى المدعوَّة ايزابلًا (١٢٦٤—١٢٨٠) ثم خلفتها الصغرى المسماة اشيف (Eschive) فاقترنت بالزواج مع امير مدينة صور هُمفروا دي مونفور (Humfroi de Monfort) فاورثتهُ حقوقها على بيروت . ولما مات زوجها سنة ١٢٨٤ صار ابنها رويان (Rupin) سيدًا على صور وبيروت وهو آخر امراء بيروت من الفرنج(١ . فانَّ في ايامهِ كان فتح بيروت على عهد الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك منصور قلاوون الصالحي تولى الملك بعد ابيهِ ٦٨٩ﻫ الى ٦٩٣ ﻫ (١٢٩٠—١٢٩٤) ففتح اولًا عكا ثم المدن الساحلية . وكان صاحب بيروت ارسل الى الملك الاشرف في وقت حصاره لعكا يطلب منه الامان فاجابه الى طلبهِ . لكنه ارسل بعد ذلك احد كبار دولتهِ وهو علَم الدين سنجر الشجاعي ليضع يده عليها . قال صالح ابن يحيى (ص ٤٣—٤٤) :

«فلما وصل سنجر الشجاعي الى بيروت تلقَّاه صاحبها وخيَّمَهُ احسن ملتقى ونزل في القلعة وامرهم ان ينقلوا اولادهم وحريمهم واشغالهم الى القلعة ففعلوا وظنّوا انه يفعل ذلك شفقةً عليهم . فلما صاروا في القلعة قبض على الرجال وقيَّدهم والقاهم في الخندق وذلك في نهار الاحد ٢٣ من رجب سنة ٦٩٠ (٢٣ تموز ١٢٩١م) . . . ثم شرع في هدم سور المدينة وقلعتها وكانت محكمة البنا . ثم جهَّز اهلها الى دمشق وانفذهم منها الى مصر باجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجائز والنساء . ولما وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال : اماني باقي عليكم وخيَّرهم بين العود الى بيروت او التوجه الى قبرس باجمعهم . وكانت مدة استلام الفرنج على بيروت في هذه النوبة خمسًا وتسعين سنة وتسعة اشهر وثلاثة عشر يومًا »

امَّا علم الدين سنجر الشجاعي فلم يلبث ان قُتل وكانت الحرب قد انتشبت بينهُ وبين الامير كُتُبُغا بعد موت الملك الاشرف الخليل فظفر اصحاب كُتُبُغا بسنجر وقتلوه شرَّ قِتلة . قال ابن اياس في تاريخ مصر المسمى ببدائع الزهور (ج١ ص١٣٢) :

«كان سنجر الشجاعي هذا رجلًا مهيب الشكل قاسي القلب مظلم الصورة عسوفًا كثير الاذى اذا ظفر باحد لا يرحمه ولا يراعي في الانام خليلًا فلما ان قتل لم يرثِ له احد من الناس»

---

١) اطلب كتاب شلومبرجر عن مسكوكات اللاتين في الشرق SCHLUMBERGER: Numismatique du royaume latin (p. 116—118)

(لهُ صلة)

سليمان البستاني

الرجل — رجل السياسة — رجل العلم والادب

بقلم فؤاد افرام البستاني

توطئة

﴿العائلة﴾ في جبّة بشراي من لبنان الشمالي قريةٌ صغيرة تُدعى بقَرْقاشا. وفي هذه القرية صخرة كبيرة تُعرف حتى الآن بصخرة البستاني او بصخرة ابي محفوظ البستاني. ذاك اسمٌ لم تقوَ السنون على نزعه. وانَّ من الاسماء المأثورة التقليدية ما يثبت ثبات الصخور

أيام كان خير عمل للانسين الحراثة وأشرف موردٍ زراعة الارض. أيام كانت التجارة مرادفة في عُرفهم لمذهب والسلب. يام كان اسم اميركا لا يُفيق في مخيّلة الجبليين تلك الاكداس الذهبية. يا ت اعظم سفرة يحلم بها اللبناني هي ان يرحل الى طرابلس او الى بيروت او الى الشام فيرجع محدّثاً اهلهُ بالعجائب والغرائب فيبتاقلونها ويعظّمون الحظّ الذي اتاح لهُ تلك الاسفار البعيدة فيغبطه اهل الضيعة ويغبطون امرأته واولاده وتغنّي نساؤهم :

زوجك يا مليحه راح عالشام وحده

في تلك الايام كان ابو محفوظ يحرث بستاناً عامرًا وسط بقرقاشا. كان يتعب ويكدّ فلا يترك شجرة غريبة اوزهرة عجيبة او نبتة صالحة الّا أودعها ذاك البستان الخصيب واجتهد في انمائها... حتى فاقت مزروعاته وفاكهته منظرًا وطعماً كل مزروعات الضيعة. ووصل صيت بستانه الى طرابلس شمالًا والبترون غربًا. واضحى حديث الشيوخ في لياليهم وقبلة الشبّان في نزهاتهم. ولُقّب ابو محفوظ «بالبستاني» على سبيل الاطلاق فلم يَعُد يُعرف الّا بهذا اللقب. وكان جنب البستان صخرة كبيرة يجلس عليها صاحبه اذا ما انتهى من عملهِ واراد الراحة فلقّبوها ايضاً بصخرة البستاني

أموالنيَّ ملكتمُ كرمًا بجميلكم نفسي وحريتي
فخذوا اذًا رسم الحبّ فذا ابقى لكم من حسنيَ الفاني (سليمان البستاني)

فاضحت الصخرة شاهدةً حتى اليوم على منبت هذه العائلة الكبيرة

وكان أن قويت شوكة المتاولة في تلك الجهات واخذوا باستعباد المسيحيين . فأبت أَنَفة ابي محفوظ الاقامة على الضيم وفضّل المهاجرة فترك قريته وداره وبستانه العزيز سنة ١٥٦٠ وقدم مع ولده محفوظ واخوته الثلاثة قاصدين الى دير القمر وهي اذ ذاك كبرى مُدن الجبل واهمّ وَسَط للصناعة

وفي الطريق تخلّف عنهم احد اخوة ابي محفوظ فاقام في قرية غادير من اعمال كسروان وامتدّ نسلهُ فيما بعد الى صربا وجونيه وساحل بيروت . وكان على الاب ان يفارق ابنه محفوظاً ايضاً فانه لعداوة دموية على ما يقال(١ ترك والده وعمّيْه ورحل الى ضهر صفرا في بلاد عكار ولا يزال نسله هناك يُعرف الى الآن ببيت محفوظ

امّا ابو محفوظ واخواه فوصلوا دير القمر واشتروا قطعة ارض من الدروز وابتدأوا بحرثها مجدّدين مِهْنتهم . وتكاثر نسلهم حتى ضاق بهم مجال العمل ، فهبط بعضهم بعيالهم في اوائل القرن الثامن عشر الى مزرعة الدُّلهمية من اقليم الخروب . وفي حديث طويل لا يسمح المقام بسرده انتقلوا الى مزرعة الدبّية التي اخذوها من بيت ابي نكد فتكاثروا فيها وعمّروها ، ولم يدخلها في اوّل الامر احد غيرهم ، حتى صارت اليوم قرية كبيرة اكثر سكانها من آل البستاني

ونا ايضاً نسلٌ من ظلّوا في دير القمر وانتشروا مع ابناء عمهم حتى ضاق عليهم المقام فاخذوا بالمهاجرة . واحفادُهم منتشرون اليوم في اكثر مدن وقرى لبنان وسوريا . وقد قطعوا البحار فترى منهم في مصر والسودان واوروبا على اختلاف ممالكها والولايات المتحدة والارجنتين ، والبرازيل والمكسيك وسائر اقطار اميركا

وكان لاسمهم الادبي والعلمي ان ينتشر انتشار افرادهم واكثر . فنبغ منهم كثيرون من رجال الدين والدنيا فخدم منهم الكنيسة المقدسة ثلاثة مطارين : عبدالله وبطرس واوغسطين . ونحو الخمسين كاهناً من اشهرهم الخوارنة : يوسف ضاهر ويوسف جرجس وبطرس وبولس ورافائيل والاب منصور اليسوعي . امّا خدمة العلم والادب فعديدون نكتفي بذكر العلّامة الشهير المعلم بطرس ابي النهضة واولاده : سليم ونجيب ونسيب والشاعر الرواني سعدالله والكاتب الاخلاقي سعيد والشيخ

(١ راجع دائرة المعارف في مادة «بستاني»

عبدالله حامل لواء اللغة اليوم والاساتذة : امين وخليل ووديع والصحافيين : يوسف ونعوم واسكندر وكرم وبطرس والشاعر الرقيق ادوار والكاتبة الادبية السيدة أليس

وكأنَّ الله قد قيَّض لهذه العائلة ان ترتقي ذروة السياسة كما ارتقت ذروة العلم فتبغ منها فقيدنا العزيز فقرن الى دقة العالم حزم الاداري ، وكان عماد الدولتين : السيف والقلم . . . فمن هو هذا الرجل؟ وما هي مزايا رجل السياسة ؟ وما هي صفات رجل العلم والادب ؟ ثلثة اقسام نتوخَّاها في درسنا هذا

القسم الاول

الرجل

١ في بكشتين : الطفل — والولد (١٨٥٦—١٨٦٣)

على رابية من روابي اقليم الخروب من قضاء الشوف في لبنان الجنوبي ارتفعت بناية كبيرة تظهر لقاصد . . . بيروت على الطريق الدامور بقرميدها الساطع تحت اشعَّة الشمس . . . وحول هذه البناية تنتشر بضعة بيوت ألفت مزرعةً تُعرَف ببكشتين

في هذه البناية ، او بالاحرى في الدار القديمة التي قامت عليها هذه البناية ، رأى سليمان البستاني النور في الثاني والعشرين من شهر ايار سنة ١٨٥٦ . يوماً مباركاً كان اليوم الذي رُزق فيه خطار سلّوم البستاني بكر انجاله فقرَّت عينهُ ووافته التهانئ من كل جهة . وكان فرح العائلة شاملاً اذ كان الوالدان بستانيَّين : الاب خطار بن سلّوم شقيق المطران بطرس بن نادر ، شقيق المطران عبدالله بن ابي يوسف ناضر . . . ابن ابي محفوظ البستاني . والامّ مريم بنت الخوري جرجس البستاني . وان الواقف على عادات بلادنا والعارف بما تحتفل به العائلات يوم ولادة الولد البكر يعلم مقدار احتفال عائلة خطار بولادة سليمان

ورُزق ابوه بعدهُ ثلاثة انجال هم : سعيد بك ، امير آلاي الجند اللبناني سابقاً والدكتور عبدالله بك الطبيب الشهير في مصر والاستاذ الدكتور سليم بك من اشهر المحامين في مصر ايضاً

وكان السعيد الذكر المطران عبدالله البستاني بعد ان اقام مكانه على ابرشية

صور وصيدا المارونية ابنَ شقيقه المطران بطرس يسكن مع عائلة خطار حفيد اخيه نادر. فسُرّ سروراً شديدة بولادة سليمان. وما ان ترعرع حتى تعلّق به، وكثيراً ما نرى الشيوخ يتعلقون بالاطفال اذ يرون بهم تذكاراً للماضي وتعزيةً على الحاضر ورجاء للمستقبل، وهكذا كانت حالة المطران عبدالله مع سليمان فما بلغ السنة الثالثة حتى اخذ بتلقينه مبادئ العربية والسريانية. وكان يأخذه بعد انتهاء الدرس الى التزهة حول بكشتين فيروّض جسمهُ وعقلهُ في تلك الاحراج والبراري ويذّخر في مخيّلته صوراً جميلة ومناظر بديعة كان عليها ان تَسِم بسمة اللطف وحسن الذوق والرشاقة كلَّ ما سيخطّه ذاك القلم... وانَّ من يقرأ وصفهُ لسويسرا في قصيدته «الشفاء» يفاجئ بين سطورها تأثير تلك التربية الجليلة وفضلها على الشاعر فهي التي تعوّده ملاحظة ادقّ التصاوير فيستخرج منها ارقّ العواطف

هكذا نشأ سليمان بين الدرس والتزهة فاتحاً صدرَهُ للهواء الطلق الصافي وعقلَهُ لبذور العلوم. وكان منذ طفولته ميّالاً للمطالعة محبّاً معرفة كل ما يقع تحت بصره. وقد ساعدته ذاكرته القويّة فنال وهو في السابعة من عمره ما لا يناله غيره وهو ابن خمسة عشر. وكان نَهِماً في المعارف يسأل عن كل ما يسمع فاحصاً بدقّة عن اصله وفصله. قرأ ذات يوم باشارة المطران فصلاً من كتاب «الف ليلة» يذكر حكاية صياد يجد عفريتاً فيروي له العفريت قصة ملك مع حكيم شهير فانتهى الى مكان فيه: «وكان قد دخل مدينة الملك حكيم كبير طاعنٌ في السنّ يقال له الحكيم ردبان.. وكان عارفاً بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية....» وما وصل الى هنا حتى اطبق الكتاب وقال: «أوَ كان هذا الحكيم احسن مني؟ ولِمَ لا اعرف انا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية؟» فتبسّم المطران جذلاً وقال: «ستعرف كل ذلك ان اجتهدت»... وظلت هذه الفكرة في دماغ سليمان حتى ادرك ذاك الحكيمَ وجاوزهُ...

هذا وللمطران فضل آخر اعظم شأناً ألا وهو انماء روح التقوى والتديّن في نفس الصغير. فقد كان بارشاداته ونصائحه وامثاله الانجيليّة يغرس الايمان في تلك الارض الخصبة غرساً لم تقوَ على زعزعته جميع زخارف العالم وسفاسط اعداء الدين. وكان ما يرى سليمان في والديه من الفضائل يعزّز تلك النصائح ويُنميها. وكان ابوهُ خطار

مشهوراً بالمروءة والكرم وعزّة النفس حتى سار صيته في تلك الجهات . وكان المارّ في طريق بكشتين لا يجسر الّا ان يأتي بيت خطار فيقيم عنده ضيفاً ما شاء . ذلك لان خطاراً المذكور كان يغضب اشدّ الغضب على من يمرّ في ليل او نهار ولا ينام او يأكل في داره . ويُرى انه كان على سليمان ان يرث القسط الوافر من هذه الصفات

٢ في بيروت : التلميذ — المعلم — الصحافي — الاديب (١٨٦٣—١٨٧٦)

ولما بلغ السابعة من عمره تكاملت عليه ظواهر النباهة فرأى ابوه ان يرسله الى المدرسة الوطنية في بيروت . وكان مؤسسها ورئيسها نسيبه الشهير المعلم بطرس البستاني ابا النهضة الحديثة . فدخلها سليمان سنة ١٨٦٣ وكم بطل به المقام حتى نبغ في كل علومها وبرّز على اقرانه . وكان من معلّميه فيها الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير . فاتقن في المدرسة العربية والانكليزية ودرس الفرنساوية والسريانية . . . وكان يقرن الى الاجتهاد حسن الصفات وطيب الاخلاق حتى احرز بين رفقائه افضل مقام واطيب سمعة . فكانوا يرون به الصديق الصدوق والناصح المخلص ويبرزن اليه ما يخالج افئدتهم الفتيّة فيقابل سرائرهم بوجه بشّ ويود بما قلما عرفوه عفيفاً واسعاً ويعمل على التوفيق بين المختلفين وملاشاة كل فتنة تبدو وتتي هي احسن . فظهرت فيه من ذاك الحين برثومة الرجل السياسي المحنّك والاداري الرزين . وكان ينصح رفاقه نصائح صالحة يتبعونها بكلّ دقة ارضاء له اذ كانوا حريصين على مسرّته متفانين في اعتباره

ومما اشتهر به في المدرسة قوة ذاكرة قرنها الى ذكاء حادّ فنتج عنهما مقدرة غريبة على استيعاب العلوم والتوسّع فيها بطريقة عقلية أمِنَ معها ضرر تراكم المحفوظات المتشعبة الانواع . . . وقد ساعدته هذه الذاكرة على حفظ الكثير من المعارف الثانوية . ومما يدل على قوتها انه سرد مرة عن ظهر قلبه نشيداً ونصف نشيد من ملحمة «الفردوس المفقود» لملتن الشاعر الانكليزي ، مع قسم وافر من قصيدة «سيدة البحار» لوتر سكوت الروائي الانكليزي واستظهر الفيّة ابن مالك وانشد منتي بيت منها في احدى حفلات المدرسة الوطنية

واشتهر ايضاً في المدرسة باتقانه فنّ التمثيل . فكان يُعهَد اليه بتمثيل الادوار

الدقيقة في الروايات. ولا يزال بعض مترجميه يتناقلون انه مثّل مرة دور «منتور» في رواية «تليماك» بمهارة يندر ان يأتي بمثلها من كان في سنه. وهذه الرواية لاحد معلمي المدرسة المذكورة الشاعر سعدالله البستاني (١

وبعد ثماني سنوات من دخوله المدرسة نال شهادتها النهائية. فلم يكتفِ بها بل تابع الاجتهاد يبذل الجهد في افادة تلامذته وحثهم على درس لغة البلاد واحوالها وعادات اهلها. كل ذلك بطريقة سهلة ساذجة جعلت له اعظم اعتبار في عيونهم

وكان يحرّر في «الجنان» و«الجنة» (٢ وتولّى تحرير «الجنينة» (٣. واشتغل مع انسبائه اصحاب هذه الصحف في تأليف «دائرة المعارف» وله فيها المقالات الشيقة والابحاث الدقيقة

وذكر عيسى اسكندر المعلوف انه انتُدب ترجماناً لقنصلية الولايات المتحدة (٤ وكان لا يألوا جهداً في سبيل نشر المعارف وتحبيذ النهضة الادبية في سوريا فعُدّ من مؤسسيها. ودخل في جمعية «زهرة الآداب» وترأسها مرتين. وكان لها في ايامه نفوذ يُذكر

وفي غضون ذلك اشتد الالم في عينيه فاعتزل المطالعة والكتابة مكرّهاً معوّضاً ما امكنه بأحاديثه الشيقة وافاداته. ولحسن الحظ لم يقعده الالم طويلاً بل تابع جهاده بكل نشاط.. مغتنماً زمن الشباب لا لصرفه في اللذات والملاهي ككثيرين بل لبذله في سبيل تحصيل العلوم وتهذيب النفس بآداب الشعوب المختلفة. وكان مع اشغاله وتعشقه في الدروس يجد ميلاً فطرياً الى اتقان اللغات العديدة فحصّل منها قسطاً وافراً كما سترى.

---

١) جرجي نقولا باز: سليمان البستاني – بيروت – ١٩٢٥ ص: ٤

٢) صحيفتان الاولى مجلة نصف شهرية سياسية علمية ادبية تاريخية. والثانية جريدة نصف اسبوعية سياسية تجارية ادبية، انشأها المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٧٠ وسلّم ادارة الثانية الى ابنه سليم. وبعد وفاة الاثنين نال امتيازها نجيب البستاني فاصدرها الى سنة ١٨٨٦ ثم أُجبر على اقفالها لما حصل من الضغط على المطبوعات

٣) جريدة سياسية تجارية كان يصدرها سليم البستاني اربع مرات في الاسبوع. عاشت من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٥

٤) جريدة «الاستقلال» في ٦ آب سنة ١٩٢٥

٣ بدء اسفاره العراق. جزيرة العرب. قبائل البادية (١٨٧٦–١٨٨٥)

«هجرةٌ بعد هجرةٍ بعد اخرى وهمومٌ في اثرهنَّ هموم»

(خليل مطران)

ولم تنحصر شهرة البستاني في محيط لبنان وسوريا الضيق بل تجاوزته الى الاقاليم المجاورة وهو لم يتجاوز العشرين من العمر. فارسل بعض وجهاء البصرة بزعامة قاسم باشا زهير يستقدمونه لانشاء مدرسة ونشر جريدة. وكان حبُّ الاسفار يأخذ من نفسه شيئاً فشيئاً، فلبى دعوتهم هذه، وسافر سنة ١٨٧٦ مصحوباً على قول المقتطف باحد ابناء البستاني (١. فانشأ هناك مدرسةً ادارها سنةً وتركها لغيره متصرفاً الى تجارة التمر مع آل زهير. وكان مع اعماله التجارية لا ينفك عن درس احوال تلك البلاد واخلاق اهلها وعاداتهم ويدوّن كل ذلك في مفكراته مترقباً الفرص للسفر وتفقُّد الاعراب في البوادي المجاورة. وكان قد اتخذ بغداد مقرًّا له فدرس احوالها المالية والتجارية والزراعية واخلاق اهلها وما جاورها من العربان. ولم يلبث ان تعيَّن عضواً في محكمتها التجارية.

وكان في بغداد شركة للمراكب الخديوية العثمانية تُعرف شركة «عمان» ساءت احوال ادارتها بعد قيام مصلحها مدحت باشا من تلك الارض فانحطت كثيراً وانتهبت اموالها وتكاثرت عليها الديون فرزحت حتى عُين ثابت باشا والياً على البصرة. فاستدلك وارسل الى الاستانة تقريراً ضافياً بهذا الشأن. فاناه التفويض التام بالاصلاح. فتداول مع مجلس ادارة الولاية وبعد البحث الطويل لم يجدوا الا سليمان يولونه هذا الامر. فتعيَّن مديراً لها ولمعمل حديد كان انشأهُ مدحت باشا. وأُطلقت يده في التصرف الداخلي والعزل والتعيين وجميع ما يتعلَّق بادارة تلك الشركة. ولم تمضِ ثلاثة اشهر حتى ترتبت الاشغال وحسنت حال الشركة فوفت ديونها وجمعت الوف الليرات ارباحاً. فكان نصيب البستاني من ذلك السمعة الطيبة، واقرَّ له الجميع بحسن الادارة والحكمة في التنظيم والترتيب.

وبعد ذلك عنَّت له الاسفار والرحلات العلمية فزار سرّات بلاد العرب وقصد

---

١) راجع المقتطف (شهر آب سنة ١٩٢٥) – سليمان البستاني ص: ٣٦١-٣٦٧

اليمن ونجد وحضرموت وغيرها . فدرس احوالها وطبائع اهلهـا وميولهم وطرُق معيشتهم وعاداتهم في افراحهم واحزانهم . وسافر اياماً في البادية على ظهور الابـل حتى وصل الى « الوقتين » فرآها « مطمئنّين من الارض في بادية قفرة تقتله الشمة الشمس اذا وقف اليها ساعـة واحدة » (١ . ثم زار جميع الاماكن المشهورة في شعر العرب الاقدمين وتفقّد احوال القبائل الحالية فجالس شيوخها وحادث شعراءها وجمع الكثير من اشعارهم في ديوان وعد بطبعه فلم تمكّنه الظروف . ولعلـه يطبع مع كتابه الكبير في تاريخ العرب الى اليوم الذي باشر به حينذاك ولا يزال مخطوطاً

وكان يبحث في تلك البوادي بحث عالم خبير مدقق فتوفق الى اكتشاف قبيلة عربية لم يعرفها احد قبله ولا دوّن اسمها قلم كاتب . فبحث في اصلها وكتب عنهـا مقالًا ضافياً في ثلاثة اجزاء من مقتطف سنة ١٨٨٧ وسنعود الى ذكرها . وقد احصى جميع بدو القبائل بسبعة ملايين احصاء دقيقاً لم يجاره به احد . فابتدأ من بدو سوريا فالعراق فاطراف الاناضول فنجد والحجاز واليمن وعمان وحضرموت وغيرها

٤ من الاستانة واليها : دائرة المعارف التركية — زواجهُ — معرض شيكاغو (١٨٨٥—١٨٩٨)

« جبتَ المغارب بعد الشرق مرتحلًا ما ابتَن سفرٍ الّا الى سفرِ » (مراد ابي نادر)

وبعد تسع سنوات عاد الى بيروت سنة ١٨٨٥ وتابع شغله في « دائرة المعارف » . وكان قد توفي نسيبه سليم سنة ١٨٨٤ وقبل موته اراد ان يترجم الدائرة الى اللغـة التركية فعهد بذلك الى خلفي افندي رئيس المكتب السلطاني ومعه نخبة من كتّاب الترك فترجموا منها نحو المجلدين وتوفي سليم المذكور قبل المباشرة بالطبع . فرأى سليمان وابناء عمه نجيب ونسيب ان يتشوا العمل . ولمّا كان لا بدَّ من رخصة وزارة المعارف سافر المترجم الى الاستانة فاتّصل بكامل باشا وكان يومئذ وزير الاوقاف وبسعيد باشا الصدر الاعظم وغيرهما من الوزراء كجودت وصبحي . وظلّ يتردّد على الوزارة ثلاثة اشهر وهي تماطلهُ الى ان علم الصدرُ الاعظم بذلك باشارة كامل فقال لـه : « لو خطر لي انك لقيتَ هذه المماطلة لأعفيتُك من تلقاء نفسي عن هذا العناء . فاذهب الآن مطمئنًّا وعُد اليّ بعد ثلاثة ايام » . وفي اليوم التالي فاز بالاذن وصارت الرخصة

(١) مقدمة الالياذة (ص : ١٦١)

بيده فزار سعيد باشا في اليوم الثالث «ليشكره لا ليشكو اليه» (١

ورجع الى بيروت فاصدر الجزء التاسع من «دائرة المعارف» العربية واراد طبع الدائرة التركية فحال دون ذلك اشتداد المراقبة والضغط على المطبوعات حتى انه اضطرّ الى السفر الى مصر حاملاً معه موادّ المؤلف المذكور. وكان ذلك في اواخر سنة ١٨٨٧ فنشر في المقتطف (٢ مقالتهُ عن القبيلة المكتشفة واسمها «الصلبة» او «الصُّلَيب» (٣ واذ كان يصلح مسوداتها في ادارة المجلة المذكورة اقترح عليه رئيس التحرير ان يترجم الالياذة فوعد وبدأ بالترجمة

وكان قد نشر طريقة للاختزال العربي في الجزء التاسع الذي اصدره من دائرة المعارف بعنوان «ستينوغرافيا» فاراد الخديوي توفيق باشا ان يعمّها في مصر. فاعاد المترجم نظره فيها ونشرها على حدة. ثم عرض له ما دعاه الى الرحيل واهمل المشروع. وكان عليه ان يتابع اسفاره العديدة وقد قال :

«ولم أكد استقرّ في مصر حتى حدا بي حادي الاسفار التي ألفتها منذ الصبا فبرحت القاهرة سنة ١٨٨٨ وفي النفس شغف بها وحنين اليها. فانتهى بي التطواف الى العراق بعد ان طرقتُ الهند والطراف العجم فأقمت فيها زهاء سنتين... ثم شخصت الى الاستانة واتخذتها مقاماً طيباً لبثتُ فيه سبع سنوات كنت كثير التنقّل في اثنائها بين الشرق والغرب فيوم بسوريا وسنة باوربا واميركا والمرجع الى الاستانة» (٤

وتضلّع في بلاد العجم من اللغة الفارسية، فتعرّف الى مؤلفات مشاهيرها كالفردوسي وغيره وطالع اشهر ملاحمها من امثال الشاهنامه. وكان من طبعه ميّالاً للشعر القصصي ميلاً كان من الاسباب التي دفعته الى اجلّ واعظم عمل اتاه شاعر عربي ألا وهو تعريب الالياذة

وفي بغداد تزوّج من ابنة انطون البغدادي الكلداني فلم يتوفّق معها ولا رُزق منها اولاداً. واقام في الزوراء سنتين تفرّغ فيها الى متابعة التعريب وكتابة مؤلّفه في تاريخ العرب المذكور آنفاً. وبعد ذلك عاد الى الاستانة واقام بها كما قال سبع سنوات انتُدب في خلالها لتولّي ادارة القسم العثماني من معرض شيكاغو. فغادر عاصمة

١) جرجي نقولا باز – سليمان البستاني (ص ٧) وتاريخ الصحافة العربية (٣ : ١٦١)
٢) راجع المقتطف (شهر آب ١٩٢٥) سليمان البستاني (٣٦١-٣٦٧)
٣) اطلب مقالةً عن الصُّلَيب في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٦٧٣) ٤) مقدمة الالياذة (ص ٧)

آل عثمان الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٣ وهو يرجو ان يبين للاميركان شيئاً من محاسن الشرق ومقدرة ابنائه على مماثلة ابناء الغرب بافكارهم واعمالهم. فانشأ هناك جريدة تركية دعاها «شيكاغو سركيسي» اي «معرض شيكاغو». ولكنها لم تنل حظاً وافراً من الحياة بل اضطهدتها سفارة تركيا لانها لم تمدح الباب العالي... ولم يكن حظه المالي احسن من حظ جريدته الادبي فخسر في ذاك المعرض خسارة كبيرة قُدّرت بنحو ٢٥ الف ليرة

ثم رجع الى الاستانة وكان قد درس اثناء اقامته في العراق مشروع ريّ تلك الاراضي الخصبة فكتب تقريراً رسمياً في ذلك رفعه الى الوزارة العثمانية، وكانت قد سدّت اسماعها الوشايات والمفاسد بحقه فلم ينل جواباً

وشهد في الاستانة سنة ١٨٩٦ مذبحة الارمن من اولها الى آخرها. وكان ساكناً اذ ذاك في «فنار باغچه» مجاوراً «اللدالي فؤاد» منفيّ الشام. وكان الرجل من عقلاء الاتراك يكره سفك الدم البريء فرآه المترجم «يطوف مدجّجاً بسلاحه ينهي عن سفك الدماء... يحيي الليل بين هاتيك الاحياء واعظاً منذراً متلطفاً متهدداً على ما تقتضيه الحال. يسأل من أُنِس منه خوفاً ان يحل ضيفاً كريماً عليه. يؤمّن الخائف ويُرعب الخائن...» (١

٥ نشر مؤلفات: دائرة المعارف — الالياذه — عبرة وذكرى

(١٨٩٨–١٩٠٨)

تركتَ لاجيال الغداة صحائفاً من المجد ما أجدتك سالاً ولا حمدا

فمن «عبرة» تتلى و«ذكرى» لنائلٍ و«الياذة» من حسنها انتظمت عقدا (بولس غانم)

انقضى بضع واربعون سنة من عمر البستاني قضاها في الرحلات والاسفار فجاب بلاد لبنان وسوريا والعراق والعجم والاناضول ونجد والحجاز واليمن وعمان وحضرموت وتفقّد شؤون الهند وما فيها من القبائل المختلفة. وهبط مصر واقام في الاستانة وبلاد اليونان وزار مرّات دول اوروبا واميركا فاكتسب العلوم الكثيرة والمعارف الواسعة. وتمكن من التعمّق في العديد من اللغات. فلم يبق عليه الّا ان

١) عبرة وذكرى (ص: ٩٦)

يفيد قومه بما استفاد ويُتمم ما كان شرع به من المؤلفات القيمة كدائرة المعارف وتاريخ العرب وتعريب الالياذة ... فترك الاستانة واتى لبنان بعد غربة طويلة فقضى مدة في بكشتين ثم باشر فيها بناء دار كبيرة كان عليه ان يدخلها لاول مرة جثة هامدة ...

وكان اثناء راحته يجلس مع ابناء عمه الصغار تحت ارزتين في ساحة الدار فيعلمهم الآداب العربية ونظم الشعر والقراءة الفصيحة . وتحت هاتين الارزتين كان يكتب شرح الالياذة ومعجمها

ثم قصد الى مصر، واصر في قلبه مركز خاص، فاقام بها يشتغل تارة بالتجارة فيخسر مادياً وطوراً بالآداب فيعوض ادبياً ونعم التعويض. وفي مصر نشر بالاشتراك مع نسيبه نجيب ونسيب البستاني الجزءين العاشر والحادي عشر من دائرة المعارف فاستقبلها العالم الادبي بكل حفاوة

وكان قد انهى تعريب وشرح الالياذة فنشرها سنة ١٩٠٤ في مطبعة «الهلال» فنالت من إعجاب العلماء والادباء مركزاً عالياً واجمعوا على اكرام صاحبها فاقاموا له حفلة كانت الاولى في بابها وذلك في نزل «شبرد» في القاهرة في ١٤ حزيران من السنة المذكورة . وقد جمع الاديب نجيب متري صاحب «مكتبة المعارف» في كتاب خاص جميع ما قيل في تلك الحفلة من منثور ومنظوم

وما حدث الانقلاب العثماني وبدت طلائع الدستور حتى احسّ المترجم بمقدرته على منفعة بلاده دون خوف المراقبات الضيقة . فجمع معلوماته وافكاره وآراءه الصائبة في كتاب أسماه «عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده» واصدره من مطبعة «الاخبار» في مصر سنة ١٩٠٨ بسرعة غريبة . وهو لم يستعن في تأليفه بسوى حافظته ودماغه الكبير فلم يفتح كتاباً غيره ولم ينشر معجماً . والكتاب آية في الآداب العربية مبنًى ومعنًى وسيأتي الكلام عليه في بابه

ثم قدم بيروت ولبنان فزار اقاربه واصدقاءه ومعارفه . وكان يخاطب كلًا بلهجته فيسر الجميع . وكان يحمل معه مسودات تآليفه فيشتغل بها دائماً ويدوّن مذكراته مقابلًا بين تمدن الشرق والغرب باذلًا جهده في رفع هذا الحاجز الكثيف الذي يفصلنا عن مستوى الغربيين

٦ في مناصب الدولة التركية

عضو مجلس المبعوثان ورئيسه الثاني — عضو مجلس الاعيان — وزير التجارة والزراعة والمعادن والغابات (١٩٠٨–١٩١٤)

«ونادوا به في المجلسين منابراً علاها فلم تعهد له فوقها نِدّا .
وقولوا لارباب الوزارة بعده تخلّوا خلا من يُحسن الحلّ والعقدا» (برلس غانم)

كان مترجمنا عضوا في جمعية «الاتحاد والترقي» فلم يعلن الدستور سنة ١٩٠٨ ويصبح للولايات العثمانية الحق بانتخاب مندوبين عنها يمثلونها في مجلس المبعوثان في الاستانة حتى ارسلت هذه الجمعية فاستقدمت البستاني الى بيروت ورشّحته للنيابة لما كانت تعهد به من الكفاءة وسعة الاطلاع والتفاني في حب بلاده

وصل بيروت فقامت ضجّة هائلة حول الترشيح والمرشّحين وجرت حوادث نذكرها في بابها . . . ثم اسفرت تلك الضجّة عن انتخابه مع رضا بك الصلح نائبَين عن ولاية بيروت وأقضيتها فهنّأته الجرائد والمجلات وتناقلت رسمه ومما يردّده القوم الى الآن بيننا بيتان من الشعر انشدتها السيدة وردة اليازجي وهما:

اخلقْ ببيروت دار العلم من قدَمٍ ان تصطفيك على الايام بعوانا
فالله لمّا ارتأى إعلان حكمتهِ ما اختار من شعبٍ الّا سلمانا

ودخل المجلس فكان خير ممثل للامة العربية ولما يقدر ان يصل اليه ابناؤها من النبوغ . وكان موضع اعجاب جميع الاعضاء يحسبون له الحساب الاول في المناقشات ويجلّونه اجلالاً عظيماً ادّى بهم الى انتخابه رئيساً ثانياً لمجلسهم . وكان ذلك سنة ١٩١٠ والرئيس الاول احمد رضا بك الشهير . وكان المترجم في المجلس رئيساً لخمس لجان اهمّها لجنة الخارجيّة ولجنة السلام العام الدولية . وكان السلطان يرسله الى اوروبا في المهمات الرسمية فيترأس الوفود ويخطب في المواسم بلغات اهلها مثيراً الاعجاب حيث يمرّ . . .

ثم نُقل الى مجلس الاعيان وعيّنته الدولة سفيراً فوق العادة لدى دول اوروبا فسار الى لندن ورومية وبروكسل ليمثل الحكومة العثمانية في المؤتمرات التي عُقدت سنة ١٩١١ في تلك المدن . وكان قد سار قبل ذلك الى باريس ولندن وبرلين رئيساً لوفد النوّاب العثماني وسار وحده بمهمّة سياسية الى بطرسبرج

ورجع الى الاستانة وله في المجلسين من الاعمال ما يشرّف اسمه ويظهر اخلاصهُ لأمته ووطنه . وسنذكر شيئاً منها في باب رجل السياسة

وبقي في الاعيان حتى اصبح البرنس سعيد حليم باشا رجل الدولة فعرض عليه سنة ١٩١٣ وزارة «التجارة والزراعة والمابات والمعادن» . وكان البستاني لا يرغب في الوزارات غير انه قبلها لصداقة بينه وبين البرنس المذكور . فاشتغل فيها اكثر من سنة بجدّه ونشاطه المعروفين . فقلبها رأساً على عقب وجعل فيها الرجال الاكفاء وقام باصلاحات عديدة نراها في موضعها

وما زال في الوزارة حتى تلبّد جوّ السياسة الاوروبية وخاضت الدول غمار الحرب . وكان من رأيه ألّا تدخلها دولة آل عثمان لانه رأى بها خرابها . فاشتغل كثيراً لمنعها فتمكن من امتناع الكثيرين من الوزراء . غير ان هياج انور وطلعت وملايين الماركات الالمانية حالت دون اتمام مراده فانتصر حزب الحرب انتصاراً باهراً

عند ذلك قدّم البستاني استعفاءه واعتزل السياسة . ولمّا اشتدّ حزب طلعت وانور وجمال واخذ رجالهُ بالاستبداد في العرب « وهم لا يقدرون على الوقوف في وجوههم » ابى عليه اباؤه ان يقيم في الآستانة بعد ذلك وتركها حزيناً على دولة يجرُّ بها ابناؤها الى الهاوية

٧ جشوم النسر : في سويسرا — المفاوضات بالصلح — المرض — في مصر (١٩١٤ — ١٩٢٤)

اشتغل البستاني طويلاً ، فحقّ له ان يستريح وكانت استراحته شبه قسرية فجثم بعيداً عن المعترك معتزلاً في سويسرا يرقب فرصة ينفع بها بني قومه

وصل تلك البلاد خافقاً اسيفاً فلحق به طلعت باشا وترضّاه واعداً اياه بمعاملة الولايات العربية بالرفق واللين . وكان رأى ان ستدور الدائرة على الدولة فطلب اليه ان يسعى بصلح شريف بينها وبين الحلفاء فوعده خيراً . واشتغل بالمفاوضة فنجح بعض النجاح . . . ولكنهُ لم يصل الى نتيجة حسنة بتكرار مساعي المانيا الشهيرة

وكان بين الفرصة والاخرى يتابع كتابة تآليفهِ مجتهداً ان يجمع فيها كل اختباراته الشخصية . . .

وفي اواخر الحرب كانت البلايا قد اشتدّت على البلاد العثمانية حزن حزناً كثيراً وأُصيب بداء أقعده عن كل عمل فبقي مستلقياً الشهور الطوال في مستشفى «مون ريان» في سويسرا حيث أُجريت له عمليّة لاقى بعدها من الآلام المبرّحة ما اذاب عواطفه فنظم قصيدته «الداء والشفاء» التي وصف بها حالته فقال:

«وقالوا صفْ علاجَك قلتُ ضمٌ أحمّاسُهُ لدفعِ الضرّ ضرّا
فحين أهبُّ مما قد دعوه رُقادًا وهو مني قد تبرّا
لكفّ الكبرياء أُقادُ حتى مجارحها تساقُ اليَّ جرّا
كأنّ لها شعورًا بالتباهي فتسمعني انين الحزن جهرا
فمن ظهرٍ الى حضٍ وفخذٍ صفائحُ تُرمضُ الاعضاء حرّا

ثمّ أتبع بما كان يقاسيه من الآلام اثناء علاجه الى ان قال:

وكادت تبلغ الروح التراقي وكدتُ ارى حياة المرء نكرا
فذا داني وذاك علاجُ داني ولستُ بعالمٍ أيّا أمرّا (١)

وبعد عقد الهدنة دعا الى سويسرا اخاه سليماً وارجعه الى مصر مريضاً فعالجه فيها اخوه الدكتور عبدالله الى ان تمكن من شفائه تماماً بعد سنة ونصف

وبعد ان دخل طور النقاهة وجاوز الخطر دُعي مراراً الى الاستانة فذهب مرّة ولم يُطل المقام... واذ نهض الاتراك واستتبّ لهم الحكم دعاه مصطفى كمال الى انقرة ليشغل مركزاً خطيراً في تلك الحكومة الفتيّة فحالت موانع دون قبوله

ثم رجع الى مصر وقد انتكست صحته وزاد الم عينيه فأُجريت له عمليتان في احداها فلم تنجح وضعُفَ نور الثانية ايضاً. وكان يشتغل اثناء مرضه في اختراعين نتكلّم عنهما...

وفي صيف السنة الماضية دعاه كبار السوريين واللبنانيين في الولايات المتحدة. فرأى في هذه الدعوة تحقيقاً لثلاث أمنيات: الإجابة الى مطالب بني وطنه ومقابلة اديسن وعرض الاختراعين عليه ثمّ الاستشفاء من مرض عينيه. فلبى الدعوة وركب البحر الى العالم الجديد فلقي فيه حتفه

(لها بقيّة)

١) الداء والشفاء - الطبعة الثانية بمصر ١٩٢١ ص: ٣-٤

مطبوعات شرقية جديدة

Costopoulo (Stavro): L'Empire de l'Orient, aspects économiques et sociaux. 1 *vol. in*-16, *Paris, Société d'Editions, al'Ile de France*, 1925, *Prix*, 7 *f.* 50

مملكة الشرق من وجهتها الاقتصادي والاجتماعي

يزعم مؤلف هذا الكتاب انَّ المسألة الشرقيَّة الشهيرة التي كثر فيها القال والقيل قد دخلت بعد الحرب في خبر كان لانَّ الشعوب التي لسببها كانت هذه المسئلة متوتِّرة قد اصابت ما كانت تتشوَّف اليه بتقسيم الممالك العثمانيَّة وانَّما المسئلة الشرقيَّة قد أصبحت اليوم مسئلة اقتصاديَّة ومن هذا القبيل يصعبُ حلُّها لان كل الدول تطلب التفوُّق والامتياز في الشرق الادنى لترويج صناعتها وتجارتها. هذا ما يذهب اليه صاحب هذا الكتاب ونحن نوافقهُ على انَّ المسئلة الاقتصاديَّة لها اعتبارها الخاص ولكنَّنا نخالفهُ في رأيه بانَّ المسئلة الشرقيَّة قد انحلَّت سياسيًّا. فكان الامل معقودًا على حلِّها بعد انتصار الدول المتحالفة لكنَّ الاختلاف الذي وقع بينها ابقاها على حَرَجِها وخاض مشاكلها العديدة

ج. ل

Michel-Farès Boulos: La Succession en droit musulman, son origine et son évolution, *vol. in*-8°, 1925, *pp.* 244, *Paris, Jouve et C*ie

الوراثة في الفقه الاسلامي اصلها وتطوُّرها

كلُّ من لهُ إلمام بالشرع الاسلامي يعرف ما تحتويه مسئلة الوراثة من المشاكل العديدة حتى يكاد يتيه في بيدانها اكبر الفقهاء سواء كان في اصلها ام في تاريخها وتطوُّراتها واختلاف المذاهب الاربعة في تحديدها. وهذا ما حمل الدكتور في الحقّ ميشال فارس افندي بولس احد خرّيجي مدرستنا الفقهيَّة ان يخصّ بنظرهِ ودرسهِ هذا الموضوع. فصنَّف هذا الكتاب وقدَّم عليهِ مقدِّمات عمومية بيانًا لتأثير شرائع عرب الجاهليَّة والامم الشرقيَّة السابقة للاسلام في الشرع الاسلامي. ثمَّ تتبَّع احوال الوراثة فصلًا فصلًا وشخصًا شخصًا مبيِّنًا في كل ذلك شروط الوراثة واختلافاتها منذ عهد نبي الاسلام الى الشرع الحديث مستندًا الى اخصّ التآليف الاسلاميَّة مضيفًا اليها السُّنن الجارية بين الملل

النصرانيَّة . وغاية المؤلف من وضع هذا الكتاب ان يدفع عقلاء البلاد والدولة المنتدبة الى توحيد هذه الشرائع الملتبسة فتعم جميع ابناء سوريَّة على اختلاف اديانهم ونزعاتهم حقق الله آمالهُ ل . ش

COMPENDIUM THEOLOGIÆ, auctore P. P. Minges, O. F. M., Ed. 2ª emendata etaugmentata. *3vols.* 8°, *Ratisbonne*, 1923 *J. Kaselet et Pustet*

مختصر اللاهوت النظري

هذه طبعة ثانية لتأليف احد الآباء الفرنسيسيين اصاب شهرةً بين طلبة اللاهوت فنفدت طبعتهُ الاولى المطبوعة سنة ١٩٠١ فاعاد صاحبها النظر فيها وهمَّ بتحسينها واضاف اليها فصولًا جديدة . وقد تأثَّر المؤلف في تصنيف كتابهِ آثار علماء الرهبنة الفرنسيسية ومشاهيرها كاسكندر دي هالس والقديس بوناونتورا ولاسيما جان دونس سكوت فهو اذن اخصُّ بمدارس الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة . ومن المعلوم انَّ دونس سكوت كان يتبع في تعليمهِ الفلسفي آراء افلاطون كما انَّ القديس توما كان يتقفَّى آثار ارسطاطاليس . فمؤلف هذا الكتاب يعرض كل حقيقة من الحقائق اللاهوتيَّة ويثبتها قبل كلّ بالبراهين المأخوذة من تحديدات الكنيسة ثمَّ يثبتها بالادلة الفلسفيَّة والتاريخيَّة على خلاف معظم اللاهوتيين الذين يعكسون هذا الترتيب لئلَّا يُنسبوا الى الدَّور . ثمَّ يعرض آراء معلميهِ في كلّ قضيَّة ويبيّن صحة معناها ويطبقها على تعاليم الكنيسة ثمَّ ينقد اراء الذين نكروها لاسيما الهراطقة والاباحيين من البروتستانت والمحدثين الاب فرنسوا تورنيزي

Marius Sepet littérateur et historien. Notice par E. G. LEROS. (Extrait de la Revue des Questions historiques). *Gr. in*-8° 1925, *pp.* 39

ترجمة الكاتب والمؤرخ ماريوس سيبه

فقدت فرنسة في اوائل هذه السنة احد كتَّابها الكاثوليك المتبحرين الضليع بالآداب والتاريخ المسيو سيبه . مات في الثمانين من عمرهِ بعد ان خدم وطنهُ بكل نشاط ونزاهة . تخرَّج في مدرسة بونابرت العليا في باريس واصاب فيها قصبة السباق على كلّ اقرانهِ . ومنذ شبابهِ الفت اليهِ نظر ادباء وطنهِ بما كتبهُ عن فنّ التمثيل في القرون

الوسطى وألحقهُ بدرس آخر بيّن فيه فضل الكنيسة في تنظيم هـذا الفنّ في القرون الاخيرة ومذ ذاك الحين تعدّدت تآليفهُ التي نُقلت الى كثير من اللغات الاوربيـة كترجمتهِ للقديسة جان دارك . وترجمة القديس لويس ملـك فرنسة . وكان من اعرف الناس بالمطبوعات العصريّة واصدقهم في انتقادها حتى انّ اعداءهُ نفسهم اقرّوا غير مرّة بتزاهتهِ . ومما امتاز بهِ المسيو سيبيه طول حياتهِ اعتصامهُ بحبل الدين ودفاعهُ عن تعاليمهِ ورجالهِ كما انهُ بقي في حياتهِ اميناً لأسرة بوربون الملكيّـة فلم ينل لسبب ذلك ما كان يستحقّهُ من الامتيازات الشرفيّة ف . ت

Pereyra (Carlos): Les Conquêtes des routes océaniques d'Henri le Navigateur à Magellan, traduit de l'espagnol par ROBERT RICARD. *vol. in*-12, *s. d. Paris, Société d'Ed. « les Belles-Lettres », Prix* 10 *f*

فتح الطرق الاوقيانيّة

لا مشاحّة في فضل الاسبانيين والبرتغاليين لفتحهم طرق البحار الاوقيانية التي يتزاحم الشعوب حاضراً على ملكها . فسبقوا سائر الدول الاوربيّة وارشدوهـا الى اقاصي افريقية واميركة . فكان اوّلهم هنري البحّار احد ابناء ملك البرتغال يوحنّـا الاوّل (١٣٩٤—١٤٦٠) وقد اشتهر بعده ماجلان († ١٩٢١) الذي روينا اخبارهُ في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٣١٦) . فحدثت في تلك الحقبة نهضةٌ شريفة في اسبانيـة والبرتغال احرزت لتينك الدولتين فخراً اثيلاً . وقـد روى المسيو بريرا اخبار تلـك الفتوحات الجليلة في كتاب حديث ضمّنهُ ما اكتشفهُ الاثريّون من المعلومات الجديدة في هذا الشأن فاسرع الفرنسوي روبير ريكرد الى نقلهِ من الاسبانية الى الفرنسويّة . وقد وجدناهُ من افضل التآليف المبنية بجهاد الانسان لتسخير الطبيعة لملكهِ وفائدته

Elian J. Finbert: Sous le règne de la Licorne et du Lion. I *vol. in*-16, *s. d. Paris, Editions du monde moderne.*

في عهد وحيد القرن والاسد

اسم هذا الكتاب غريب يشير الى فرقةٍ يهوديّة خدمت في الحرب الكونيّـة كانت تمتاز بأزرار ثيابها المنقوش عليها الحيوان المعروف بوحيد القرن مع الاسد وقد قصد بهِ المؤلف ان يُظهر ما كان لبني اسرائيل في تلك الحرب من الاعمال والغايات لاسيما تمهيد الطريق لاهل جلدتهم كي يحققوا اماني الصهيونيّة ويملكوا على فلسطين .

لكنَّ المؤلف عرض كتابهُ على صورة فكاهيَّة خياليَّة فافقدهُ كثيراً من فوائده ج . ل

CATALOGUE des ouvrages publiés par les Professeurs et les Etudiants de l'Université S^t Joseph (1875-1925) par le P. Louis Cheikho S. J., *vol. in*-12, *Beyrouth, Impr. Catholique*, 1925 (*pp.* 58 + ٤٨)

مطبوعات اساتذة وتلامذة كلية القديس يوسف من ١٨٧٥ الى ١٩٢٥

بمناسبة احتفال كليَّة القديس يوسف بيوبيلها الذهبي نشرنا هذه القائمة التي تشتمل على ما نشره اساتذة وتلامذة القديس يوسف في الخمسينة التي مرَّت على المدرسة . وفي هذا الكتيب قسمان قسمٌ عربيٌ في اوَّله خطبة القيناها في تعليم اللغة العربية في كليتنا مع جدول ٢١٦ تلميذاً من الكتبة المتخرجين فيها وذكر تآليفهم . وقسمٌ فرنسوي يحتوي منشورات اساتذة المدرسة وطلبتها في اللغات الاجنبيَّة فجاء المجموع أنطقَ لساني بفضل الكليَّة في خدمة الآداب

Le Kitâb al-âdâb d'Ibn al-Mu'tazz édité par IGN. KRATCHKOWSKY (Extrait du Monde Oriental, XVIII, 1924)

كتاب الآداب لابن المعتزّ

كانت الآداب الشرقية أُصيبت بازمة اليمة بعد الانقلابات السياسيَّة في روسيَّة فسرَّنا أن نرى احد جهابذة المستشرقين صديقنا اغناطيوس كراتشكوفسكي يواصل سلسلة العلماء الذهبيَّة التي تحلَّى بها جيدُ بلاده بنشر آثار جديدة . منها هذا الكتاب الفريد لاحد ائمَّة الكتَّاب عبدالله بن محمَّد الشهير بابن المعتزّ استخرجهُ جنابهُ من بعض مخطوطات المتحف البريطاني وزيَّنهُ بالمقدَّمات والحواشي المختلفة التي جعلتهُ كبتيمة ابن المقفَّع بل اغلى ثمناً جازاهُ الله خيراً ل . ش

Géographie élémentaire

الايضاحات الجليَّة في علم الجغرافية

بيروت : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٩٢٥ ص ٥٠

كانت هذه الايضاحات طُبعت قبل الحرب بزمن قليل فأضحى كثير من معلوماتها مخالفاً لانقلاب البلاد . وها هي ذه طبعة ثانية مصحَّحة تماماً فيها فصلٌ خاصٌ بالبلاد الاسيويَّة وخصوصاً عن العراق ولبنان الكبير ودولة سورية وحكومة العلويين وجبل الدروز وشرقي الاردن والفلسطين . وقد جاءت صورها وخرائطها الملوَّنة غاية

في الاتقان فلا نشكّ انّ ارباب المدارس سيقبلون عليها بكل شوق لتهذيب ناشئتهم

PIERRE TEQUI, Paris, rue Bonaparte, 28 (M^r Chéhab, Beyrouth) = I J. Gerber S. J. : La S^te Eucharistie: Le Sacrement et le Sacrifice, *in*-12, 1925, 5 *f^s* = II Abbé Ch. Grimaud : Prêtre ?... Pourquoi pas ?, *in*-12, 1925, 3 *f^s*, 50 = III : Henri le Floch, S.SP.: Les Elites sociales et le Sacerdoce. *in*-12, 1925, *Prix* 1 *f^s*, 50)

مطبوعات بخصوص القربان الاقدس والكهنوت

١ الكتاب الاوّل يتضمّن مختصر اللاهوت الادبي مع ما ورد في الحقّ القانوني الحديث وتعاليم اساطنة الكنيسة بخصوص القربان الاقدس من حيث وجهيه كسرّ وكذبيحة جعلهُ الاب اليسوعي الاب جرْبِرْ دستوراً وافياً للكهنة ليستغنوا به عن مراجعة الكتب المطوّلة . ٢–٣ والكتابان الاخيران للكاهن شرل غربير وللاب هنري لوفلوك من جمعيّة السولبيسيين يبحثان فيهما عن الدعوة الكهنوتية والوسائط الفعّالة لجذب الشبّان الى هذه الدرجة السامية ليسدّوا مسدّ الكهنة العديدين الذين وقعوا في ساحة الحرب ضحايا تفانيهم في خدمة الوطن واسعاف الجرحى والموتى. وكلاهما يبيّن عظمة الكهنوت وشرفهُ امام الله والبشر

ل. ش

كتاب خطط الشام

الجزء الثاني. تأليف محمّد كرد علي

طبع في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م

لم يمرّ علينا ثلثة اشهر منذ وصفنا الجزء الاوّل من هذا التأليف الجديد للسيد محمّد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق فأثنينا على مضامينهِ وفضل كاتبهِ واشرنا الى بعض نقائصهِ. وها هوذا اتحفنا بجزئهِ الثاني فسرّحنا فيهِ النظر ممتعين كفعلنا بالاوّل فألفيناهُ كبكرهِ في حسناتهِ وخللهِ . فقد جرى على اسلوبهِ السابق واحتاط بتاريخ الشام في عهد دولة المماليك المصريّة ثمّ في العهد التركي الى اواخر القرن الثاني عشر للهجرة والثامن عشر للميلاد ولم يأنف من بيان ما اساء بهِ المصريون الى بلادنا. اما انشاء الكتاب بالاجمال فرائق واضح وفي تقسيم الفصول وعناوينها

لمّا تقرُّ لهُ العين. ومع اقرارنا بهذه المحاسن وغيرها لا يسعنا الّا تكرار الانتقادات التي قدّمناها على الجزء الاوّل فانّ المصادر التي استند اليها جنابهُ غير وافية ومنها ما هو سقيم كاستنادهِ على كلود فاريز (Claude Farrère) في قولهِ عن الحروب الصليبيّة (ص ١٣٢—١٣٣). فان الاستشهاد به كاستشهادك بجدّاد في امر الهندسة او كاستشهاد حمّار في امر الخيل العربيّة. ثمّ ما هي تلك الخسارة الكبيرة (ص ٣٠) التي خسرها الهولانديّون والسويسريّون في الحروب الصليبيّة؟ ولم يكن منهم بين الصليبيين الّا الافراد القليلة. ثمّ نعيد لجنابهِ ما قلناهُ عن انخداعهِ بالارقام المنقولة عن الكتبة دون انتقاد. فايّ عاقل يسلّم لهُ بما رواهُ (ص ٥٧) عن القاضي الفاضل في مدينة حصن كيفا الصغيرة انّ خزانتهُ كانت تحتوي مليوناً واربعين الف كتاب؟ فكيف ينخدع جناب المؤلف بمثل هذا السراب؟

الاب ه. لامنس

تاريخ الطبّ عند العرب

للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

طبع في دمشق ١٩٢٥ (ص ٦٢)

هي المحاضرة النفيسة التي ألقاها صاحب هذا التاريخ في ردهة المعهد التقي في دمشق في ١٨ آذار سنة ١٩١٩ وأتبعها لمحاضرة سابقة في الطبّ عند الامم القديمة وقد زانها بالتصاوير الظريفة وبالغلاف البديع نزادها حسناً. فنشكر لجناب المؤلف هديتهُ وللدكتور مصطفى الخالدي همّتهُ في طبع المحاضرة على نفقتهِ لتعميم منافعها

الربيعيّات

للاديب رفائيل افندي بطي

طُبع في بغداد سنة ١٩٢٥ (ص ١٠٠)

هذه الربيعيّات زهراتٌ اقتطفها صاحبها من عجلّتهِ الحرّية فجاءت طاقةً من زهور منمّقة تختلف لوناً ورائحة وقيمةً. بينها كثير ممّا يُدعى اليوم بالشعر النثري ممّا يستحبّهُ ذوق بعض المصريين ويراهُ غيرهم شقشقة لسان دون كبير جدوى. والله يستر البلاد إن انتشرت هذه الطريقة الكتابيّة في اقطارنا فيتلهّى القرّاء بالقشرة ويهملون اللباب

ل. ش

شذرات

﴿ فوضى اللغويين ﴾ تمنّينا غير مرّة ان تؤلف جمعيّة عربية يكون اعضاؤها من سائر بلاد الناطقين بالضاد فيحقّ لها النظر الى حاجات اللغة وتحسينها واصلاحها وتحديد معاني مفرداتها الحديثة. ونتقي ما يشوّهها او ما هي غنيّ عنهُ. وحتى الآن نرى كثيرين ينصبون حالهم للقيام بهذه المهمّة فيجد الواحد ما يكرههُ الآخر. فقام البعض وطلبوا استبدال لفظة مَرْسح بكلمة مَسْرح. ولمّا كادت تغلب هذه على تلك قام غيرهم وطلبوا اعادة اللفظة الاولى. وكذلك تحامل البعض على لفظة «مظاهرة» وطلبوا ابدالها بلفظة تظاهُرة وجرى عليها كثيرون فعاد غيرهم من ذوي المعرفة فاستقبحوا لفظة «تظاهرة» لغويًّا وادبيًّا وألحّوا باعادة لفظة «المظاهرة» وبيّنوا وجهها الصحيح. وكم جرى من الجدال في تفضيل الاميركي على الاميركاني. فهذا وغيرهُ ممّا يدلّ على ما قلناهُ انّ لغتنا العربية في حاجة ماسّة الى جمعيّة تُعطى الحلّ والعقد في امور اللغة كالاكادمية الفرنسويّة ولولا ذلك ستصبح حالتها فوضى وتتشوّه بتحكّم من لا مقدرة لهُ على شؤونها

﴿وفاة فلكيّ يسوعي﴾ علمنا بالاسف وفاة الاب اليسوعي لويس كورتي مدير مرصد ستونيهرست في انكلترة. وقد سبق المشرق (٩ [١٩٠٦]: ٨٩٩–٩٠٦) ووصف هذا المرصد الكبير الذي جعلهُ الآباء اليسوعيّون الانكليز معهداً فلكيًّا يجاري اكبر المعاهد الفلكيّة في اوربّا وقد شرّفهُ الابوان اليسوعيّ ان پرّي ويسيد غريفس اللذان عهدت اليهما الدولة ببعثات علميّة خطيرة ونُظما لاكتشافاتها الفلكية بين اساطين العلماء الفلكيين. وقد خلفهما الاب كورتي فجاراهما علماً ونشاطاً. وكان تلطّف سنة ١٨٩٣ ورافقنا في زيارة المرصد وشرح لنا ما يحتويهِ من الآلات الرصديّة العجيبة لاسيما لرصد حركات الشمس واجيج نيرانها التي تؤخذ كل يوم صُورُها

﴿خمود التعصّب البروتستاني﴾ من نتائج الحرب الكونيّة الحسنة خمود التعصّب البروتستاني ضدّ الكثلكة وذلك لاسباب منها امتزاج البروتستانت الانكليز والاميركيين بالجنود الكاثوليكية ومعاينتهم لتفاني الاكليروس الكاثوليكي في خدمتهم. ومنها في المانية سقوط الامبراطور غليوم الذي كان يعتبرهُ البروتستانت

كركن دينهم الاعظم بمثابة الحبر الروماني في الكنيسة الكاثوليكية . فترى المرتدين الى الدين الكاثوليكي ينمون يوماً بعد يوم في الدول البروتستانيَّة كولايات المتحدة وانكلترَّة والمانية والدول الشماليَّة كالدنيمرك واسوج ونروج حيث كانت الابواب موصدة منذ مئين من السنين في وجه الكاثوليك فتراهم اليوم يقدّمون لهم الاكرام الجزيل ويدعون رهبانهم وراهباتهم ليتولّوا في بلادهم الاعمال الخيرية وتهذيب الشبيبة والمدافعة عن روح الدين بازاء الجاحدين ويقصد وجهاؤهم رومية لمواجهة الحبر الاعظم

﴿ثبات نصارى اليابان في ايمانهم﴾ في اواسط القرن السابع عشر أُقفلت ابواب اليابان في وجه كلّ المرسلين الكاثوليك فلم يبق للمتنصّرين هناك كاهن يقوم بتدبيرهم ومنحهم الاسرار . ولما عاد المرسلون بعد مائتي سنة لينشروا فيها من جديد تعاليم الدين الكاثوليكي ما اشدَّ ما كان اندهاشهم اذ وقفوا صدفةً على قرًى في داخليَّة البلاد وعلى نحو عشرين الفاً من النصارى الذين كانوا توارثوا ابناً عن اب واباً عن جدّ بذور الايمان الكاثوليكي فيحفظون فرائضهُ بكل حرص فيجتمعون للصلاة ويمتنعون في الآحاد عن الشغل ويصومون الصوم الاربعيني ويدرسون الكتب التي كان طبعها المرسلون اليسوعيّون ويصبغون ابناءهم بماء العماد . ومن غريب ما حدث لاحد المرسلين في العام الماضي الاب بيرُّو انهُ وجد في احدى القرى المدعوة سندايجي بقايا من اولئك النصارى الثابتين على تعاليم القديس فرنسيس كسفاريوس واخوته فاقام لهم القداس لاوّل مرة بعد ثلاثة قرون في ٢٩ نيسان من السنة ١٩٢٤

﴿اصلاح بعض اغلاط طبعيَّة وقعت في الكتاب المأثور لابي المَثَل﴾ الصفحة 5 السطر 2 الخطأ لِيَ الصواب لَيَ = 7 : 14 خ الصَبْي ص الصيّ — 15 : خوَّرَ : تَخَوَّرُ = 8 : 18 : فيَّ : فيهِ = 9 : 14 : النَصرة : النُصْرة = 12 : 9 : على : عن (وفي الاصل على) = 15 : 10 : معروف : معروف = 17 : 1 : يُبرِّح : يُسرِّحُ = 22 : 9 : اهلكتْ : اهلكتْ = 23 : 17 : السَبْغ : السَبْغ — 24 : 8 : وفاق : زِناق = 26 : 13 : الكَرْماء : الكَرْمة = 32 : 10 : الاوانيّ : الاواني = 33 : 17 : أَنْحنَ : أَيْخنَ = 36 : 16 : ذو السَرَّة ولعلهُ البيرة . لكنَّ تحت السين في الاصل ثلث نقط للفرق بين السين والشين = 38 : 5 : النَزْو : النَزُّ — 14 : موَّت : صوَّتت = 39 : 1 : والموت : الموت = 41 : 7 : وبنكسر . كذا في الاصل ص وبَنْحَسر = 47 : 12 : القتير : القتير = 58 : 17 : ضمَّ الشَغْب : ضمَّ الشمْ = 59 : 2 : الحرور : الجرور = 63 : 14 : عُرِض . . . عليها : عَرَض . . عليهِ = 77 : 15 : المِسْوَاك : المِسْوَاك = 80 : 1 : البَخُور : البَخُور = 85 : 10 : تَسَفَّدَه : تَسَفَّدَهُ = 87 : 4 : الحجيج : الحجيج = 90 : 3 : الطرقاع : الطرثاع

أسئلة وأجوبة

س استفتانا جناب الاديب جميل افندي البحري في احد اعداد مجلته الزهرة (ص٥٧٨) عن صحة صورة حكم ليلاطس البنطي على يسوع المسيح» نُشرت في مصر ونقلها عنها بحروفها. والحقها بصورة رسالة بولبوس يوستوس الى طيباريوس قيصر يصف فيها المسيح وعجائبهُ. فطلب جنابهُ ما رأينا في كل ذلك ؟

الحكم على المسيح لبيلاطوس البنطي – وصف المسيح لبولبوس يوستوس

ج سبق لنا تفنيد كل هذه الاشاعات الباطلة التي ينشرها من وقت الى آخر بعض المدلسين (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٤٣٩–٤٤٣ و ١١ [١٩٠٨] : ٤٨٢) وكلها مشحونة بالاغلاط التاريخية التي لا تنطبق لا على اسماء الكتبة المنسوبة اليهم ولا على زمانهم ولا على احوالهم كما انها تخالف تماماً ما يُعرف من امور السيد المسيح فكيف ينخدع بها الادباء وينقلونها ؟ اما بيلاطس البنطي فقد بيّنا في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٣٢٩–٣٣١) كلّ ما روى عنهُ المؤرخون الاثبات كيوسيفوس واوسابيوس. فليراجع

س سأل احد القرّاء ابن طُبع كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي ؟

كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي

ج هذا الكتاب طُبع اوّلاً في ليبسيك طبعةً متقنة بهمّة المستشرق الالماني فردريك شوالي (Fr. Schwally) سنة ١٩٠٢ (ص ٦١٧) وقد ألحق بهِ الاديب الالماني ريشر (O. Rescher) سنة ١٩٢٣ فهارس دقيقة مفيدة جدًّا في ٢٠ صفحة — ولهذا الكتاب طبعة أخرى مصريّة في جزئين (ص ٢٢٦ و٢٣٤) طُبعت في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٦م) طبعها السيد محمّد امين الخانجي وعُني بتصحيحها السيد محمّد بدر الدين النعساني الحلبي (كذا) . ولكننا قد تأكدنا بالمقابلة انّ هذه الطبعة مسروقة عن طبعة المانية كمألوف عادة الطباعين المصريّين الذين يتهافتون ظلماً على مطبوعات غيرهم وينسبونها لذاتهم زوراً بعد ان يجرّدوها من كل فوائدها كالروايات والفهارس والمقدّمات المفيدة. فبئس العمل ! . وهكذا قد سرقوا عدّة من مطبوعاتنا البيروتية. راجع مقالتنا «نظر انتقادي في المطبوعات المصريّة» (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٤٣٠–٤٤٠) التي كشفنا فيها الستار عن مكرهم

ل. ش